



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجبالي بونعامة - خميس مليانة -

كلية علوم الاجتماعية والإنسانية

قسم: علوم اجتماعية



# الإنسان بين التراث والتجديد في فكر زكي نجيب محمود

مذكرة لنيل شهادة الماستر في العلوم الاجتماعية والإنسانية

تخصص: فلسفة عربية حديثة ومعاصرة

إشراف :

د / قلامين صباح

إعداد الطالبتان:

- خديمي صبرينة
- ملياني فاطمة الزهراء

السنة الجامعية: 2017/2016



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الجيلاي بونعامة - خميس مليانة -

كلية علوم الاجتماعية والانسانية

قسم: علوم اجتماعية



# الإنسان بين التراث والتجديد في فكر زكي نجيب محمود

مذكرة لنيل شهادة الماستر في العلوم الاجتماعية والإنسانية

تخصص: فلسفة عربية حديثة ومعاصرة

إعداد الطالبتان:

- خديمي صبرينة
- ملياني فاطمة الزهراء

لجنة المناقشة

د/ فتاحين رئيساً
أ/ بكيري عضواً
د/ قلامين مشرفاً

السنة الجامعية: 2016/2017

## كلمة شكر وعرافان

### بسم الله الرحمن الرحيم

نشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين القائل في محكم التنزيل "فوق كل ذي علم عليم" سورة يوسف الآية 76.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافأتموه..." رواه أبو داود.

ونثني ثناء حسناً على جامعة خميس مليانة وإلى كل موظفين الجامعة وبالخصوص فرع العلوم الإجتماعية ومن باب الإعراف بالجميل والفضل ، نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرافان لكل من مد لنا يد العون والمساعدة من مساعدي المكتبة والأساتذ في مجال البحث العلمي ونخص بالذكر الدكتورة "قلامين صباح" التي أشرفت على هذه الدراسة وصاحبة الفضل في توجيهنا والمجهودات التي بذلتها رغم الإنشغالات الكثيرة إلا أنها لم تمل من النصيحة والترغيب في حب العمل فجزاها الله كل خير.

كما لا ننسى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد مادياً أو معنوياً من زملاء وزميلات في إخراج هذه الرسالة على أكمل وجه.

# اهداء

إلى كل من علمني حرفاً في هذه الدنيا الفانية  
إلى روح " أبي " الزكية الطاهرة.  
إلى من هي في الحياة حياة إليك ينحني الحرف حباً وامتنان إليك  
"أمي"  
إلى مقام والدتي التي شجعتني على طلب العلم منذ الصغر ورمز  
الكفاح أختي "أم الشيخ".  
إلى من عجزت الكلمات عن التعبير عن مدى الجميل و العرفان الذي  
بدر منكم، شموع بيتنا: "محمد، ضيف الله".  
وأخواتي: " أم الشيخ، فضيلة، كريمة، هجيرة، حنان"  
وإلى زوجة أخي "كريمة".  
إلى زوجي الغالي الذي تحمل نبض قلبي وقلمي ومشاق مسيرتي  
ولا يزال "ياسين" وإلى كل عائلة "حمرات"  
إلى روح الحياة و عطرها والإبتسامة البرينة من القلوب الصافية  
البيضاء أبناء وبنات أخي وأخواتي.  
إلى من ضاقت السطور عن ذكرهم فوسعهم قلبي....."صديقاتي"  
إلى من شاركتني بأفكارها النيرة في هذا العمل : "صبرينة خديمي".  
إلى من شجعني في رحلتي إلى التميز و النجاح  
أشكرهم جزيل الشكر

فاطمة الزهراء



# اهداء

أهدي عملي المتواضع هذا إلى سندي وركيزة حياتي منبع العطاء والكفاح  
أمي الحنونة وإلى ضياء دربي وولي نعمتي وله فضل تعليمي والقُدوة  
المتلى أبي العزيز أطال الله عمرهما.

إلى من كانوا صدى لآمالي وأحلامي وتحقيقاً لرغباتي أخواتي: "محمد  
جلول وبوعبيدي و" فتحي رحمه الله" وعانلاتهم.

وإلى اللواتي دفعنا بي إلى السعي والنجاح وتحقيق طموحي واجتياز  
متاعب الحياة دون عناء يذكر أخواتي "لطيفة، وردة، فاطمة، وعانلاتهم.  
وإلى زوجي شريك حياتي "حمزة فرج" الذي منحني الحب والعطاء وإلى  
كل كبير وصغير في عائلة فرج دون الخصوص.

وإلى أختي وصديقة أيامي ورفيقة دربي "فاطمة الزهراء ملياني" التي  
وقفت معي أختاً ناصحة وصديقة صالحة ورفيقة مادحة في إنجاز هذا  
العمل المتواضع وطول المشوار  
الدراسي.

وإلى كل صديقاتي المقربات وزميلات في الدراسة وكل أقبائتي وقربائتي  
وكل من يحمل لقب "خديمي" دون استثناء وإلى رقيقات دربي "مزوري،  
فتيحة، حنان، صورية، سهام فايزة"

صبرينة





## الملخص:

زكي نجيب محمود مفكر كبير في الوطن العربي في القرن العشرين، عرف بمؤلفاته الفلسفية المهمة بصورة عامة ويعتبر كذلك الممثل الوحيد للوضعية المنطقية في الوطن العربي وعند عودته إلى بلاده بعد تكوين علمي وفلسفي في إنجلترا، اقترح الفلسفة الوضعية كحل شامل للأزمة المعقدة التي يعيشها الوطن العربي، لهذا السبب نقد الميتافيزيقا والفكر التقليدي وأصبحت عنده ضرورية من أجل تجاوز الأزمة وهكذا قدم تصوراً حول الإنسان العربي بين التراث والتجديد .

## Resumé :

Zaki Nadjib Mahmoud, est un grand penseur arabe dans le 20<sup>è</sup> siècle connu surtout par ses grands œuvres philosophiques en général il est aussi considéré comme l'unique représentant du positivisme logique dans le monde arabe. Après son retour dans son pays natal, et suite à une formation scientifique et philosophique en Angleterre. Il a proposé la philosophie positiviste logique comme la solution globale de la crise complexe que vit le monde arabe. Pour cette raison la critique de la métaphysique et la pensée traditionnelle devient pour lui nécessaire afin de surmonter la crise. Ainsi il édifie une conception sur l'homme arabe entre la tradition et la modernité.

- **Positivisme logique**
- **Métaphysique**
- **L'homme tradition**
- **modernité**







# الفهرس

# الفهرس

كلمة شكر وعرهان

إهداء

الفهرس

أ.....	مقدمة.....
11.....	الفصل الأول: المرجعية الفكرية لمشروع زكي نجيب محمود.....
11.....	المبحث الأول: السيرة الذاتية لزكي نجيب محمود.....
11.....	المطلب الأول: النشأة والتعليم.....
12.....	المطلب الثاني: نتاجه الفكري والعلمي.....
16.....	المبحث الثاني: التيارات الفكرية لزكي نجيب محمود.....
16.....	المطلب الأول: النزعة الصوفية.....
21.....	المطلب الثاني: التيار العلمي.....
24.....	المطلب الثالث: دواعي تبنيه الوضعية المنطقية.....
35.....	الفصل الثاني: فكر زكي نجيب محمود بين التراث والتجديد.....
35.....	المبحث الأول: الإنسان والتراث.....
35.....	المطلب الأول: موقف زكي نجيب محمود من الميتافيزيقا.....
40.....	المطلب الثاني: التراث في فكر زكي نجيب محمود.....
49.....	المبحث الثاني: التجديد في فكر زكي نجيب محمود.....
49.....	المطلب الأول: الوضعية المنطقية في الفكر الغربي.....

54.....	المطلب الثاني: الوضعية المنطقية في فكر زكي نجيب محمود.....
60.....	المبحث الثالث: الموقف التوفيقى لزكي نجيب محمود بين التراث والتجديد.....
60.....	المطلب الأول: عودة زكي نجيب محمود إلى التراث.....
66.....	المطلب الثاني: التوفيق بين التراث والتجديد.....
74.....	<b>الفصل الثالث: فكر زكي نجيب محمود بين القبول والرفض.....</b>
74.....	المبحث الأول: عوائق تجديد الفكر العربي المعاصر في فكر زكي نجيب محمود.....
74.....	المطلب الأول: ضرورة الإلتفاتة إلى التيارات الفكرية المعاصرة.....
78.....	المطلب الثاني: إشكالية العقل وأزمة المنهج في حياتنا المعاصرة.....
81.....	المطلب الثالث: إشكالية قراءة التراث العربي.....
84.....	المطلب الرابع: اضطرابات مفهوم العلم في عقولنا.....
88.....	المطلب الخامس: عوائق أخرى.....
90.....	المبحث الثاني: فكر زكي نجيب محمود في ميزان النقد والتقييم.....
90.....	المطلب الأول: فكر زكي نجيب محمود في ميزان النقد.....
96.....	المطلب الثاني: فكر زكي نجيب محمود في ميزان التقييم.....
103.....	خاتمة.....
107.....	قائمة المصادر والمراجع.....
115.....	الملخص.....



## مقدمة:

إن مادفع الباحثين في الفكر العربي المعاصر إلى دراسة التراث وإلى التفكير في المشروع الحضاري للأمة العربية والإسلامية، هي الأزمة التي تتخبط فيها هذه الأمة، أزمة تتميز بالعمق والتعقيد وتزداد تفاقماً من وقت إلى آخر، في وقت يزداد فيه الغرب المتقدم ازدهاراً، وأمتنا العربية تراثية تاريخية لا يمكنها أن تعيش خارج موروثها الثقافي والحضاري، كما لا يمكنها أن تتعزل عما يجري في عصرها، وهو عصر كله تحديات حضارية وأمام أزمة الثورة والتغيير الاجتماعي وأزمة البحث العلمي وهي أزمة "التراث والتجديد" التي تعبر عن مظاهر وتجليات الواقع العربي المتشابك الأطراف المتداخل المستويات، إن الواقع العربي الراهن الذي يجتاز مرحلة انتقائية بطيئة الحركة متداخلة الخطى يتشابك فيها الزمان والمكان والقديم والجديد تشابكاً يشوش الرؤية، ويزيد نار التوتر والقلق ويضفي بالتالي على قضايا الواقع طابعاً إشكالياً، هذه الثنائية التي شكلت هاجساً كبيراً لدى المفكرين، مما جعلهم يفكرون في كيفية صياغة وانتهاج نفس المنهج الذي سلكه المجتمع الغربي للوصول إلى ما يعيشونه اليوم، من تطور وتقدم وتحضر وعصرنة مع الحفاظ على التراث والقيم والمبادئ التي يتميز بها المجتمع العربي، وهذا ما دفع المفكر العربي المصري الأصل "زكي نجيب محمود" إلى دراسة هذه الإشكالية ومحاولة معالجتها وفق ما يتلائم والمجتمع العربي، إن إنتاج هذا المفكر يعدّ المادة الخصبة التي شغلت العديد من الباحثين كونه تناول الإنسان العربي من كل جوانبه وهذا وتأتي دراستنا لأعمال هذا المفكر العربي كونه حاول أن يعالج الواقع العربي الإسلامي في مظاهره الهشة ومحاولة منه معالجة هذا الواقع المأزوم من خلال قراءته العلمية للحضارة الغربية وما تملكه من قوة الفكر والتكنولوجيا.

إن هذه الثورة الفكرية التجديدية في فكر "زكي نجيب محمود" اتجاه معالجة القضايا العربية ليست جديدة وإنما حركت عباقرة من الفلاسفة على مر التاريخ، وبالتالي فمحاولة الفيلسوف العربي كغيره من المفكرين هي البحث عن علاج للداء الذي تشكوا منه الأمة العربية الإسلامية وضمن هذا الإطار الفكري وأمام العرض المجمل السابق الذكر تبرز ملامح إشكالية بحثنا والتي يمكن صياغتها على النحو التالي:

إذا كان "فكر زكي نجيب محمود" تجديدياً، فما هي النتائج التي توصل إليها فيما يتعلق بالعوائق الحائلة دون إنتاج فكر عربي معاصر، هل بالعودة للتراث أم بتبني الحضارة الغربية من خلال مذهب الوضعية المنطقية أم كلاهما معاً؟

وقد ارتأينا إلى تجزئة الإشكالية إلى الأسئلة الجزئية التالية:

- 1) هل العلاقة بين التراث والتجديد هي علاقة تنافر أم علاقة تكامل؟
- 2) كيف تكون العلاقة بيننا وبين هذا الوافد الجديد وكيف نوازن بين قديمنا وحديثهم وبين تراثنا الأصيل ومعاصرهم الدخيل؟
- 3) هل يمكن حصر فكر "زكي نجيب محمود" في الجانب الوضعي المنطقي أم هناك جوانب أخرى؟

لنتناول الإشكالية الرئيسية والأسئلة الجزئية سنحاول الوقوف على الرأي الأقرب إلى الصواب، فالنظرة الصائبة في نظرنا ربما هي التي تجعل من هوية الأمة وتراثها معاصرتها للحياة الراهنة بكل ما تحمله من تقنيات ومبادئ وقيم.

ومن هنا يستمد بحثنا هذا أهمية من خلال محاولتنا رد الاعتبار لتراثنا وأصالتنا للأوساط التي تقصد التقليل من شأنه، كون أنه من المستحيل ارتقاء أمة بانسلاخها عن ماضيها، الماضي الذي لا يزال يشكل مرجعاً أساسياً ضمن مرجعيات أخرى، كما أن بحثنا هذا يهدف إلى تحقيق جملة من الأهداف منها:

- الوقوف على الخلل الذي لا يزال الفكر العربي يواجهه.
- تسليط الضوء على الإقتباس من الحضارة الغربية وأخذ ما ينفعنا مع الحفاظ على الهوية الأصيلة.
- توضيح الصورة التي خلفها المجتمع الغربي على المجتمع العربي.
- رد الاعتبار الحقيقي للتراث الأصيل بما يواكب العصر.

لهذا تظهر أهمية البحث في كونه يعالج إشكالية فلسفية معاصرة وعليه سنحاول من خلاله الكشف عن مدى تركيز "زكي نجيب محمود" على جل اهتماماته وتطوره الفكري وارتباطه بالفكر

الغربي عن طريق بيان التأثير الذي يمارسه هذا الأخير (الفكر الغربي) في فكرنا العربي وإمكانية انفتاحه على الآخر والإستفادة منه.

إن الدافع الذي جعلنا ندرس هذا الموضوع هو تتبعنا لقضايا الفكر العربي والكيفية التي نواجه بها مشكلاتنا الراهنة.

الدافع الذي أحرز نوعاً من الإثارة في زاويتنا الفكرية هي الإزدواجية الفكرية التي يتمتع بها " زكي نجيب محمود" في كلتا الثقافتين العربية والغربية، مما أدى به إلى دراسة التراث وتعرجه للوضعية المنطقية ثم موازنة الحديث على الجانبين.

كما نجد في أنفسنا ميلاً لهذا المفكر الكبير الذي استفدنا من أفكاره ونحن على مقاعد الدراسة في الجامعة خاصة فيما يتعلق بالفلسفة وتناوله لقضايا عربية صرفة كالتجديد والنهضة وغيرها.

ومن هذا ارتأينا إلى أن ندرس هذا المفكر المعاصر لثروة إنتاجاته ومكانته العظيمة في الوطن العربي والغربي، والحق أن هذا البحث كان سبباً مباشراً في تغيير بعض المواقف التي كتبناها تجاه الغرب مما جعلنا لا نلقي بالاً لما اعترضنا من عوائق ومشاق ونحن في مرحلة البحث فكان رائدنا آنذاك كل شيء يهون في سبيل الهدف الذي نصبوا إليه، إضافة إلى أنه كانت لدينا الرغبة في توسيع دائرة معارفنا.

ولمعالجة هذا الموضوع فقد اتبعنا مناهج مختلفة منها: " المنهج التاريخي" وذلك بالرجوع إلى الإطار التاريخي الذي ظهر فيه "زكي نجيب محمود" وأيضاً اتبعنا المنهج التحليلي الذي يهدف إلى تحليل المشكلة من خلال عناصرها المختلفة والمتنوعة والذي يوصلنا بدوره إلى التركيب وإلى جانب هذين المنهجين اتبعنا " المنهج النقدي" حتى نوازن بين الأفكار والمذاهب لدى زكي نجيب محمود ومن تناوله بالبحث والدراسة.

وواجهتنا مجموعة من الصعوبات والعوائق كغيرنا من الباحثين من بينها:

- صعوبة الحصول على المراجع والمصادر في المكتبات.
- ضيق الوقت بحيث لم يكن لدينا متسع من الوقت خاصة مع التربص الميداني والتقرير.

➤ كثرة الدراسات حول معالجة إشكالية التجديد في الفكر العربي الحديث والمعاصر دون الوصول إلى نتائج نهائية مما حول الموضوع في ذاته عند الدارسين إلى قراءة لقراءات متعددة. أما الدراسات السابقة لفكر زكي نجيب محمود كان جُلها يتمحور حول تيار الوضعية المنطقية من بينها:

➤ دراسة للأستاذ عبد الباسط سيديا، بعنوان "الوضعية المنطقية والتراث العربي"، نموذج فكر زكي نجيب محمود الفلسفي، تقديم /طيب تيزيني، دار الفارابي، بيروت، لبنان ، ط1، سنة 1990م.

➤ دراسة لمحمود أمين العالم، بعنوان "الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر" عيون-الثقافة الجديدة، ط1، الدار البيضاء، القاهرة، سنة 1988م.

➤ دراسة لزكي نجيب محمود "الجبر الذاتي" ترجمة /إمام عبد الفتاح إمام، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1973م.

➤ دراسة لفؤاد زكريا بعنوان "تجديد الفكر العربي في الميزان" دراسة في الكتاب التذكاري حول فكر زكي نجيب محمود الذي أصدرته جامعة الكويت سنة 1987م.

➤ رسالة ماجستير للطالب ميلود شكار، بعنوان "الحدائث وأزمة النخب العربية كنموذج: زكي نجيب محمود، عبد الله العروي، محمد العابد الجابري، ومحمد البهي - دراسة تحليلية نقدية-" سنة 2004م-2005م.

ورغم الدراسات العديدة والمتنوعة حول فكر زكي نجيب محمود، والمتمثلة في الدراسات والرسائل الجامعية، إلا أننا حاولنا من خلال هذا البحث إضافة أنوار أخرى لعلها توضح ما كان يهدي إليه مفكرنا اتجاه التراث و التجديد مع إبداء إنتقاداتنا بكل موضوعية للقضايا التي لم يعالجها المفكر العربي زكي نجيب محمود.

حددنا خطة البحث من مقدمة تعطي للقارئ فكرة عامة موجزة عن الموضوع وثلاث فصول نتاولنا في الفصل الأول المرجعية الفكرية لزكي نجيب محمود في مبحثين، تعرضنا في المبحث الأول السيرة الذاتية لزكي نجيب محمود المتضمن مطلبين الأول: النشأة والتعليم، والثاني أهم إنتاجاته الفكرية والعلمية، أما بالنسبة للمبحث الثاني فتناولنا فيه التيارات الفكرية لزكي نجيب



محمود يتضمن ثلاث مطالب لنبيين إتجاهاته بطرح تحليلي ونرصد أهم أطروحاته وقضاياها فأوقفنا التحليل عند اتجاهين أساسيين (الإتجاه الصوفي والإتجاه الغربي) والمطلب الثالث دواعي تبني زكي نجيب محمود الوضعية المنطقية.

أما الفصل الثاني يحمل عنوان فكر زكي نجيب محمود بين التراث والتجديد يتضمن ثلاث مباحث، أولها الإنسان والتراث عند زكي نجيب محمود يبين من خلاله النظرة الميتافيزيقية التي تقدر بها ورؤيته التراثية، أما بالنسبة للمبحث الثاني تضمن التجديد عند زكي نجيب محمود تناولنا فيه الوضعية المنطقية في الفكر الغربي لأن علاقة زكي نجيب محمود بالوضعية المنطقية علاقة الفرع بالأصل وبالتالي يستحيل فهم الفرع بدون الذهاب إلى الأصل، أما المبحث الثالث أدرجناه تحت عنوان الموقف التوفيقي لزكي نجيب محمود بين التراث والتجديد، ثم عودته للتراث، والتوفيق بينهما.

أما الفصل الثالث فأدرجناه تحت عنوان زكي نجيب محمود بين القبول والرفض بمبحثين فالأول تحت عنوان عوائق تجديد الفكر المعاصر في فكر زكي نجيب محمود الذي تضمن خمسة مطالب، أما المبحث الثاني يحمل عنوان فكر زكي نجيب محمود في ميزان النقد والتقييم يتمحور على مطلبين، الأول فكر زكي نجيب محمود في ميزان النقد، والثاني في ميزان التقييم. أما بالنسبة للخاتمة فكانت عبارة عن حوصلة لنتائج بحثنا.

# الفصل الأول

المرجعية الفكرية لمشروع زكي نجيب  
محمود

الفصل الأول: المرجعية الفكرية لمشروع زكي نجيب محمود.

المبحث الأول: حياة زكي نجيب محمود

المطلب الأول: نشأته وتعليمه

زكي نجيب محمود رائد التنوير وأحد الفلاسفة المتألقين، ولد في الأول فيفري 1905م في قرية ميت الخولي عبد الله، محافظة دمياط بمصر.

في نحو الخامسة انتقل مع الأسرة إلى القاهرة، حيث تلقى تعليمه بالمرحلة الأولية بمدرسة السلطان مصطفى بالقاهرة.

وفي التاسعة انتقل مع الأسرة إلى الخرطوم بالسودان إذ كان والده موظفاً بحكومة السودان وهناك التحق بكلية غودون حيث أمضى مرحلتي التعليم الابتدائي والثانوي.

عاد إلى مصر لنيل شهادة الدراسة الثانوية، وبعدها التحق بمدرسة المعلمين العليا قسم الآداب، ونال منها ليسانس في الآداب والتربية سنة 1930م.

سافر إلى إنجلترا سنة 1936م واشتغل التدريس في التعليم العالي العام حتى سنة 1943م.

نال جائزة التفوق الأدبي من وزارة المعارف " التربية والتعليم الآن " سنة 1939م وفي سنة 1944م أرسل في بعثة إلى إنجلترا لنيل الدكتوراه في الفلسفة، وهناك حصل في سنة 1945م على البكالوريوس الشرفية من الطبقة الأولى في الفلسفة من جامعة لندن، وهي درجة تعطى صاحبها من درجة الماجستير، فقد قدم موضوعه للدكتوراه وسجل في كلية الملك "King collège" بجامعة لندن وحصل على الدكتوراه سنة 1947م وكان موضوع البحث "self détermination" (الجبر الذاتي) وقد طبعت الرسالة ثم قام بترجمتها إلى العربية فيما بعد الدكتور إمام عبد الفتاح إمام وفي سنة 1947م، عاد إلى مصر والتحق بهيئة التدريس

في قسم الفلسفة بكلية الآداب بجامعة القاهرة وبعد تقاعده عين في الجامعة نفسها أستاذ غير متفرع منذ تخرجه سنة 1930م وأخذ يشارك في الحياة الثقافية مشاركة متصلة، بما يصدره من مقالات وكتب.

وفي سنة 1934م انظم عضواً في لجنة التأليف والترجمة والنشر بالاشتراك مع الأستاذ أحمد أمين في سلسلة من كتب الفلسفة، وسلسلة من تاريخ الآداب وكانت له مقالات متتابعة في مجلتي "الرسالة والثقافة" خلال الثلاثينيات والأربعينيات، وقد أشرف على تحرير مجلة الثقافة من سنة 1949م إلى سنة 1952م وقد اختير عضواً في لجنتي الفلسفة والشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية منذ إنشائه سنة 1956م، كما اختير عضواً في عدة لجان ثقافية أخرى منذ التاريخ مثل لجنة التفريع للمشتغلين بالآداب والفن، ولجنة اختيار المقترحات الفنية للدولة، وفي سنة 1960م نال جائزة الدولة التشجيعية للفلسفة وكان ذلك عن كتابه "نحو فلسفة علمية"<sup>1</sup>.

### المطلب الثاني: نتاجه الفكري والعلمي.

إلى المناصب الهامة التي شغلها والكتابات الغزيرة الهامة التي أصدرها وتأثيره على عدد كبير من تلامذته في مصر والعالم العربي إلى اليوم، فقد كان "زكي نجيب محمود" المدشن الأول لتيار الوضعية المنطقية في مصر والعالم العربي والإسلامي، كما كان صاحب أسلوب أدبي متماسك وأنيق يخلق صفة بين الوعي الفلسفي والذوق الأدبي

وعليه فقد عملنا جاهدين على أن نبرز كتبه وفق تسلسلها التاريخي في فئات معينة منها الفلسفية والفكرية والثقافية والأدبية وكانت على النحو الآتي:

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "من خزانة أوراق"، دار الهداية للطباعة والنشر، دون بلد، الطبعة الأولى، 1996م، ص 11

1. كتب في الفلسفة والمنطق:

- المنطق الوضعي: جزءان، الأول في المنطق الصوري سنة 1951م، والثاني في فلسفة العلم سنة 1952م، مكتبة الأنجلو المصرية.
- الشرق الفنان: الهيئة العامة للكتاب سنة
- برتراند رسل، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، القاهرة، سنة 1956م.
- جابر بن حيان، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر سنة 1961م.
- حياة الفكر في العالم الجديد، مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى سنة 1956م، دار الشروق الطبعة الثانية سنة 1982م.
- خرافة الميتافيزيقا: مكتبة النهضة المصرية الطبعة الأولى سنة 1953م، وأصبح عنوانه في الطبعة التالية "موقف من الميتافيزيقا" دار الشروق الطبعة الثانية سنة 1983م.

2. مؤلفاته الفكرية والثقافية:

- أفكار ومواقف، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة 1983م.
- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة 1975م.
- بذور وجذور: دار الشروق الطبعة الأولى سنة 1990م.
- تجديد الفكر العربي، دار الشروق، الطبعة الأولى سنة 1970م، الطبعة الثانية سنة 1973م.
- ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق، سنة 1976م.
- عربي بين ثقافتين، دار الشروق، الطبعة الأولى، سنة 1990م.
- قصة عقل، دار الشروق، سنة 1984م.
- مجتمع جديد أو الكارثة، دار الشروق الطبعة الثالثة، سنة 1983م.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> مدونة الدكتور إبراهيم العلاف، أستاذ التاريخ، جامعة الموصل. <http://www.allaf blogs potcom.blogspot.com>

3. كتابات أدبية:

- أرض الأحلام: وقد نال عنه جائزة التفوق الأدبي من وزارة المعارف" التربية والتعليم الآن" سنة 1939م وطبعته دار الهلال في سلسلة كتب للجميع.
- الكومبديا الأرضية: دار الشروق الطبعة الثانية سنة 1983م وهو نفس الكتاب الذي كان عنوانه في الطبعة الأولى الثورة على الأبواب" سنة 1955م
- أيام في أمريكا، الأنجلو المصرية سنة 1955م.
- جنة العبيط الطبعة سنة 1947م ودار الشروق.
- شروق من الغرب، الطبعة سنة 1950م ودار الشروق الآن الطبعة الثانية سنة 1983م.<sup>1</sup>

4. كتابات بالغة الإنجليزية:

- ترجمة مايقارب 300 بيتاً من شعر العقاد إلى الإنجليزية شعراً سنة 1945م.
- كتاب عن أرض مصر وشعبها"the land and people of egypt"نشر في أمريكا سنة 1956م.
- مقال عن الفكر المصري الحديث "in modern arabiclittérature" نشر في لندن.

5. مترجمات ومعارف:

في الفلسفة:

- محاورة أفلاطون، (أربع محاولات هي: الدفاع، أوطيفرون، أوقريطون، فيدون) القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1939م.
- الأغنياء والفقراء، عن ه.ج. ويلز، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1937م.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "من خزانة أوراقي"، ص 16-17.

### في التاريخ والنقد الأدبي:

- فنون الأدب عنه.ت.تشارلتن، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1949م.
- أثرت الحرية، لفكتور كرافتشنكو، لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1949م.

### المقالات:

- مجموعة مقالات نشرها في جريدة الأهرام المصرية.
- مجموعة مقالات نشرها في مجلة الكتاب المصرية.

### 6. موسوعات ومعاجم:

- معجم المصطلحات الفلسفية: (بالاشتراك) إخراج المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، القاهرة سنة 1967م.
- الموسوعة العربية الميسرة: (المشاركة في الأسواق والمراجعة وكتابة المداخلات الفلسفية) مؤسسة فرا نكلن 1964م.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء. من إسلام أون لاين.نت.

### المبحث الثاني: الإتجاهات الفكرية لزكي نجيب محمود.

سعيًا في هذا المبحث لأن نبين الإتجاهات الفكرية لزكي نجيب محمود من خلال أهم الأوضاع التي عاشها في الوطن العربي ومن أهم النماذج الفكرية التي نمت فيها أفكاره واستخلصناها في إتجاهين أساسيين هما:

#### المطلب الأول: الإتجاه الصوفي:

طبع في تفكيره إثر الوضع الذي عاشه في الوطن العربي نجد أن الدكتور "زكي نجيب محمود" في أول المراحل الروحية نحو التصوف كثيراً ما ابتعد عن دنيا الناس ليحيا في عالم الأفكار لأن الله حسبه " أراد للإنسان أن تكون له نظرتان معاً وبالنظرة العلمية للأشياء ينتفع والنظرة الفنية ينعم".<sup>1</sup> لذلك تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل التي مر بها والتي لا يمكن أن يغفل عنها، وهذا ما نلمسه في قوله "جانب لا يجوز إغفاله إذا أردنا للصورة أن تكتمل".<sup>2</sup>

لم تنحصر المشاريع الدينية عند "زكي نجيب محمود" في عزلة عن دنيا الناس أو الحياة إنما مال به الأمر نحو التصوف ويتضح هذا في كتابه "قصة عقل" لأن مرحلة الثلاثينيات كانت من المراحل التي تفرد فيه تفكيره وهي مرحلة لم يشهد مثلها في حياته لا من قبل ولا من بعد بالرغم من تضارب الميول والإتجاهات العقلية عنده، إلا أنه لم يبق على لون ثقافي واحد طوال تلك المرحلة وإلى جانب هذا كان صوفياً على الطريقة الهندية، بحيث تتأرجح مشاعره مرة متحمساً للعلم ومرة تشككاً في حضارة عصرنا العلمية وكثيراً ما قيل عن هذا التصوف أنه يقترب من وحدة الوجود: التي ترى في الوجود وحدة لا تعدد فيها، ولا تمايز بين أجزائها، اللهم إلا في المظهر الخارجي الخادع، وهو المظهر التي تدركه الحواس بصرًا أو سمعاً ولمساً. ومعنى هذا أن كل الموجودات متكاملة وتعتمد على بعضها البعض ويضرب في هذا الصدد مثلاً واضحاً على أنه كان يسير وحده بين الحقول في الريف، وقف طويلاً أمام الماشية ألقيت

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "الشرق الفنان"، دار القلم، القاهرة، دون سنة، ص 13  
<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "حصان السنين"، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1991م، ص 25.



أمامها أعواد الدرة لتطعم فدارت في ذهنه صور متلاحقة: نبات يتغذى من عناصر الأرض، وحيوان يتغذى النبات والإنسان يتغذى من لحم الحيوان، تغذية تسري في دمائه وفي أعصابه.

ومن خلال هذه الرؤية كتب نجيب محمود مقالاً مستقيماً بعنوان **"وحدة الوجود"**\*. لكن هذه الأخيرة كانت تعاوده من حين إلى آخر طوال حياته، وبعدها كتب مقالاً بعنوان **"درس في التصوف"** والتي اعتبرت من أجمل ما كتبه بحيث عبرت عن فكرة وحدة الوجود.<sup>1</sup>

وعلى الرغم من أن **"زكي نجيب محمود"** مر بعدة مراحل أو اتجاهات في تطوره الروحي إلا أن ميزة التدين كانت تلازمه طوال حياته وإن ابتعد عنها نوعاً ما فيما بعد، عندما أصبحت مشاعر الوجدان والمشاعر الدينية تسيطر على العالم العربي إلا أنه لم يتخلى عنها قط وإن كانت قد تراجعت في لحظة من لحظات حياته حيث رأى عندئذ حاجة المجتمع إلى ضرورة الإهتمام **"بمنطق العقل"** الذي اعتبره صانع الحضارة، والذي اختفى من ثقافتنا بسبب سياسة الوجدان والمشاعر الدينية، وعلى هذا الأساس فالدكتور زكي نجيب محمود لم يتخلى عنها بل كانت في مرحلة كمون تنتظر الفرصة السامحة للظهور، وفي نفس الإتجاه الدكتور نجيب محمود أيضاً مقالاً عن **"هجرة الروح"** وقد كتبها مزامنة لذكرى الهجرة النبوية وقدم معنى جديد للهجرة.<sup>2</sup>

ومن خلال قوله **"لقد أودى النبي الكريم من مكة فهاجر إلى المدينة فجاءه نصر الله والفتح ورأى الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وها أنت ذا تؤذيك أباطيل العقل في بعض الكتب فدعها لعلك بذلك تنتقل من ضلال العقل إلى إيمان القلب حيث السكينة والقرار ولقد**

\* **وحدة الوجود**: هي كل شيء يرد إلى الله فهو الموجود الحق ولا موجود سواه وكل ما أعده أعراض ومظاهر لوجوده أو مجرد فرضيات مستمدة منه (إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة للشؤون والمطابع الأميرية)، القاهرة، 1983، ص2012

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، **"قصة عقل"**، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م، ص17-18.  
<sup>2</sup> إمام عبد الفتاح إمام، **"رحلة في فكر زكي نجيب محمود"**، المجلس الأعلى للثقافة، دون بلد، 2001، ص24.

كانت هجرة النبي مولداً جديداً لرسالته فأرجو أن تكون هجرتك من كتب إلى كتب بعثاً جديداً لروح المعذب الظمان".<sup>1</sup>

حاول "زكي نجيب محمود" في هذا المقال أن يبرهن على خلود الروح حيث اعتمد أساساً على رغبة الإنسان في الخلود ورغبته أيضاً في الطعام ما كانت لتوجد لو لم يكن الطعام موجوداً ورغبة الإنسان في زمالة الأصدقاء ويستحيل أن تنشأ إن لم يكن جانب الإنسان الرغبة في الخلود ما لم يجد في فطرته وحيلته ما يوحي إليه أنه خالد.<sup>2</sup>

ومن "هجرة الروح" انتقل "زكي نجيب محمود" إلى هبوط الروح على نحو تحليله في شرحه عينية "ابن سينا" الشهيرة بحيث كانت أولى لفاته الفكرية، في الأعوام الأولى من الثلاثينيات التي ارتكز تفكيره على وحدة الوجود وفي نهاية الثلاثينيات 1937م كتبت هذه المقالة وهو في صدر شبابه فيها هبوط الروح إلى البدن والتي في مطلعها قال "ابن سينا" \*\*:

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمتع

تدور القصيدة حول هبوط الروح، وما أدراك ما الروح هذا السر العجيب الذي سرى واستكن بين أحنائك فلا تكاد تدري من أمره شيئاً وهل بداخلك تسيء من الريب في أنك مزيج من المادة والروح؟<sup>3</sup>

ثم يقدم "زكي نجيب محمود" للمركب الذي يتكون منه الإنسان فيقول "فأما المادة هي هذا اللحم والعظم أما الروح فهي تلك الفكر الرائع والخيال البارِع وتلك الحركة الموثبة

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "من خزنة أوراقي"، ص 35.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 35.

\* عينية ابن سينا: قصيدة شعرية لابن سينا وسميت العينية لأنها قافيتها العين وتكلم فيها عن الروح.

\*\* ابن سينا: أبو علي الحسين ابن عبد الله ابن الحسن علي ابن سينا 980-1037 فيلسوف وعالم تجريبي ومحلل النفس الإكلينيكي.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، دار الشروق، القاهرة، دون طبعة، 1981م، ص 197.

الدافعة، حتى إذا جاءك يوماً قضاؤك المحتوم، إنطلق كل من العنصرين إلى سبيله فأنى لهذا السر المكنون وأيان يذهب بعد الموت؟..."<sup>1</sup>

بين "زكي نجيب محمود" مسار الروح فيرى أنها كانت تعيش أول الأمر مطلقة مجردة في الرفيق الأعلى، ثم كتب عليها أن تهبط إلى الجسد لتسكن فيه بحركات رشيقة أشبه بحركات الطير السابحة في أجواء الفضاء، ومعنى أنه إذا كانت الروح لا تدرك بالحواس فإن هناك طريق آخر للوصول إليها، ولا ينبغي إنكار وجودها بحجة أننا لا نراها.

كما دافع "زكي نجيب محمود" عن المعجزة وذلك في مقال كتبه في الثلاثينات بعنوان "بين المعجزة والعلم" في شكل أجراه مع نفسه، في حين بين في هذا المقال عدم وجود تعارض بين المعجزة والقوانين الطبيعية وذلك من خلال اقتناعه التام أن قدرة الله عزوجل تتجلى في اطراد الكون لا في إيقافها، كما أثبت في خلاصة المقال أن المعجزة لا تبطل القانون الطبيعي، وذلك رده على بعض المفكرين الذين ينكرون المعجزات التي وردت في الكتب السماوية مثل: أن العلم انتهى إلا أن الطبيعة لا تسير وفق قانون صارم وإنما تتغير مع الظواهر التي يمكن التنبؤ بها وإذا كانت القوانين منظور إليها على أنها يستحيل أن تخطيء الطبيعة فإذا كان سقوط التفاحة مثلاً سببه الجاذبية الذي يعتبر القانون فيحول دون سقوط التفاحة عندما يهديه إليها فيمنعها هذا من السقوط في الأرض، فإرادة الإنسان تستطيع أن تتوسط بين القانون وبين تطبيقه فتعطيله حيث هاجم "زكي نجيب محمود" في هذا المقال الماديين الذين يزعمون بأنه لا يوجد في الكون ظواهر يصعب على العلم تفسيرها فيرجعون ذلك إلى التسوية والوعد بأن العلم سيتمكن من تفسير كل الظواهر في المستقبل بدلاً من إرجاع ذلك إلى أصلها الحقيقي وهي المعجزات العلمية، وإن عجزوا عن ذلك يمهلون للمستقبل. إذاً يعتبر الجانب أو الإتجاه الصوفي من أبرز الأشياء التي سيطرت على تفكيره في أولى مراحل

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، ص 197.

الروحية والتي أهملها الكثير من المفكرين مركزين على المرحلة الثانية التي بدأت بالمنطق الوضعي وخرافة الميتافيزيقا فجعلوا إسم "زكي نجيب محمود" مرتبط بالوضعية المنطقية.<sup>1</sup>

### المطلب الثاني: الإتجاه الغربي الحديث.

إستطاع "زكي نجيب محمود" أن يتخطى الإتجاه الديني عابراً إلى إتجاه آخر هو الإتجاه العربي، الذي حلل به الواقع الإجتماعي الذي كان يعايشه مستبعداً العواطف والمشاعر معتمداً على نور العقل وحده حيث بدا قاسياً في نقده وتحليله.<sup>2</sup> لكنها قسوة المواطن يحب وطنه ويشير أن يراه قد تنكب جادة الطريق".<sup>3</sup> ويعتبر هذا الإتجاه الثاني عند زكي نجيب محمود الذي جعله إتجاه يخرج من جوفه حيث يصفها في كتابه "قصة عقل" بأنها "مرحلة استيقظ فيها الوعي عندي حاداً قوياً في عدة إتجاهات وهي لم تنشئ من عدم بل هي إتجاهات أحسست بها قبل ذلك بأعوام ولكنها كانت على شيء من الفتور والتردد...".<sup>4</sup> وقد دارت هذه المرحلة حول مجالين أساسيين وهما مجال "الحياة الإجتماعية" ومجال "النظرة العلمية"

#### أ- مجال الحياة الإجتماعية :

قام "زكي نجيب محمود" فيه بنقد الحياة الإجتماعية بحيث كان يعيش وسط تخلف إجتماعي فمال إلى كتابه "حصاد السنين" عندما قال أن: "الحاضر قد هضم الماضي ثم أضاف جديداً تلوى جديد مما أنتجه السنون، ومعنى ذلك أن لا يكون العصر الذهبي للحضارة العربية الإسلامية في الخلافة العباسية وراء ظهور نابل أن يكون موضوعه الصحيح هو المستقبل الذي يعمل الناس على بلوغه".<sup>5</sup>

فلا يجب أن نقيس التقدم الحضاري بمقياس للتقدم الحضاري بحكم أن الحاضر أكثر تقدماً من الماضي وفي هذا الإتجاه سافر زكي نجيب محمود إلى إنجلترا أين أدرك كرامة الفرد

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام، "رحلة في فكر زكي نجيب محمود"، ص 27-31 بالتصرف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 41.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 68.

<sup>4</sup> زكي نجيب محمود، "حصاد السنين"، ص 07.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 08.

هناك معاناته مهما كان مستواه الإجتماعي عكس ما نجده في العالم العربي، حيث يتغنون فقط بكلمات الحرية والمساواة وما إليها ويدرسون في أنفسهم أخلاق النظم التي تقسم الناس إلى سادة وعبيد وهذا ما جعل زكي نجيب محمود يثور على هذه القيم التي تجعل من المستبد إستبدادياً أكثر.

وهكذا أخذ "زكي نجيب محمود" على عاتقه وصف الثقوب الموجودة في مجتمعه من ظلم وقهر وإستبداد وتسلط وتنافر وكرهية، سبب في فقدان الفرد لكرامته وحرية واستقلاله حيث قدم عدة مقالات في شكل أدبي وكانت بمثابة سخرية على الفرد العربي الذي يعتقد أنه يعيش الإنسان في التعامل مع سائر مواطنيه.<sup>1</sup>

بعد عودة " زكي نجيب محمود" إلى مصر استمر تشريحه العقلي للحياة الإجتماعية العربية بصفة عامة والمصرية بصفة خاصة حيث دعى إلى الأخذ بمنهج علمي من ناحية أخرى، وثقافة العصر التي يقصدها هي ثقافة الغرب لأنها منبع الصنع الحضاري، كما دعى إلى التخلص من الظلم الذي يطحن الناس في المجتمعات بإعتبار أن الظلم ينافي الجمال الذي كان يستمتع به الحكام.<sup>2</sup>

ب- مجال النظرة العلمية:

دعى فيه "زكي نجيب محمود" إلى إستخدام العقل في شتى مجالات الحياة الإجتماعية وكثيراً ما فتقدت المجتمعات العربية النظرة العلمية حيث يقول هذا الإتجاه والذي استقر فكره عشرين عاماً ( 1950-1970 ):

"إني سرت على خطين متوازيين أحدهما الدعوة إلى ثقافة العصر والآخر منهج التجريبية العلمية في صياغة الأفكار".<sup>3</sup>

فالمشكلة الرئيسية تكمن في ميل الأمة العربية إلى المشاعر والوجدان وتتناسى الجانب العقلي، وقد ارتبط "زكي نجيب محمود" في هذه المرحلة بجانبين المنهج العلمي من ناحية

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام، "رحلة في فكر زكي نجيب محمود"، ص 42-43 بالتصرف.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 46.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 60.

والتجريبية العلمية من ناحية أخرى وهذا ما تكتشفه في كتابه " المنطق الوضعي " الذي عبر عن هذين الجانبين بشكل عنيف عندما قال " أنا مؤمن بالعلم كافر بهذا اللغو الذي لا يجدي على أصحابه ولا على الناس شيء وعندي أن الأمة تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه ".<sup>1</sup> ويضيف قائلاً: " لما كان المذهب الوضعي بصفة عامة والمذهب المنطقي بصفة خاصة هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمية كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم فقد أخذت به أخذ الوثائق بصدق دعواه".<sup>2</sup>

فقد آمن "زكي نجيب محمود" بالمذهب الوحيد الذي يستطيع أن يتماشى مع الروح العلمية وأخذ به لما رأى فيه مبني، والصادق للوصول إلى الحقيقة مبتعداً تمام الإبتعاد عن العاطفة والمشاعر وهكذا يبدو الإتجاه العلمي من فكره متناقض ومختلف عن الإتجاه الإجتماعي عندما دعا إلى إستخدام العقل في جميع مجالات الحياة والإسترشاد به وإزالة الواقع الإجتماعي المتأزم.<sup>3</sup>

### المطلب الثالث: زكي نجيب محمود ودواعي تبنيه الوضعية المنطقية

مما لا شك فيه أن كل فلسفة لا بد لها من بيئة تنمو فيها وفق الخصوصيات التي تتميز عن غيرها من الفلسفات، وحتى إذا تعلق الأمر بنقل فلسفة معينة وتبنيها في غير البيئة التي نشأت فيها، فإن هذه العملية لا تتم، أو لا يكتب لها البقاء والنجاح إلا إذا كانت هناك قواسم مشتركة ومترابطة تجمع بين البيئتين، تجعل ظروف الواحدة منها مساعدة للأخرى وهذا عينة ما يمكن قوله فيما يخص ويتعلق بالوضعية المنطقية، وكيف تبناها وأخذ بها مفكرنا العربي زكي نجيب محمود وعن الظروف التي نشأت وترعرعت فيه، وماهي الدواعي التي ساعدت إلى نقلها إلى البيئة العربية الإسلامية، مع الأخذ بعين الإعتبار الإختلافات الجوهرية والأساسية الموجودة بين المنشأ والبيئة الجديدة.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "المنطق الوضعي"، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1966م، ص43.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ، ص43.

<sup>3</sup> إمام عبد الفتاح إمام، "رحلة في فكر زكي نجيب محمود"، ص 48.

كما نجد عند مفكرنا زكي نجيب محمود عندما أجاب على السؤال التالي: " ألا تعتقد أن كل واقع عليه أن يصوغ فلسفة الخاصة في ضوء ظروف وأن واقعا مختلف عن الواقع الذي أفرز التجريبية العلمية"، فكانت إجابته كالتالي: " أعتقد أن الواقع الذي أفرز التجريبية العلمية هو واقع نشترك فيه نحن، بالإضافة للواقع الذي تنفرد به، ذلك أن الواقع الذي أفرز هذه الفلسفة التحليلية هو الخلط الذي كانوا فيه يخلطون بين ما هو علم وما هو وجدان ونحن نشارك في الخلط ونحتاج لنشاط فلسفي من نوع آخر يتلاءم معها...لو سمعنا أن هناك فلسفة إسمها البراغماتية تبرز أهمية النتائج عند تصميم الأفعال، فلا بد من الأخذ بها".<sup>1</sup>

ونستخلص من إجابة مفكرنا العربي أنه من ضمن الأسباب التي أجبرته على تبني المنهج الوضعي المنطقي هي الحال المزرية التي كانت ولا تزال الأمة العربية الإسلامية تعيشها ومن قرون طويلة جداً بفعل عوامل شتى ومختلفة مثل عامل الإستبداد بالرأي والحكم والغزو الغربي الصليبي، إلا غيرها من الأسباب التي ساهمت بطريقة أو بأخرى في تردي الأوضاع الفكرية والثقافية، وبروز الآفات الإجتماعية والنفسية المختلفة.

والى هذا بالذات أشار زكي نجيب محمود عندما قال " وعقيدتي هي أن عصرنا هذا في مصر بصفة خاصة يسوده استهتار عجيب في كل شيء، والذي يهمني الآن ناحية خطيرة من نواحي حياتنا، هي ناحية التفكير والتعبير، فقد اعتادت الألسنة أن ترسل القول إرسالاً غير مسؤول دون أن يطوف ببال المتكلم أو الكاتب أدنى شعور بأنه مطالب أمام نفسه وأمام الناس أن يجعل لقوله سنداً من الواقع الذي تراه الأبصار وتمسه الأيدي ... بحيث أصبح أمراً مألوفاً أن نرى الحاكم عندنا بلا عد أو حساب، والإقتصادي يصدر في مشروعاته عن غير إحصاء وأرقام، والعالم يقول بلا سند أو دليل وهذه كلها في حقيقة الأمر فروع تفرعت عن مشكلة أعم وأضخم عي مشكلة الأخلاق التي أحاطت بحياتنا الفردية والإجتماعية من جميع جهاتها".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> حوار مع زكي نجيب محمود، أجرته زينب المنتصر، مجلة الأعلام العربية، كانون الثاني، 1976م، ص22.  
<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، دار الشروق، القاهرة، ط1+2، 1983م، ص س-ع من المقدمة.

لعلنا لا نجد صعوبة في تقصي الحقائق الظاهرة والباطنة التي كان يضمها عندما تبنى المنهج الوضعي المنطقي هو الذي أسس أصلاً بغية البحث عن أكبر قدر ممكن من الوضوح والدقة، في شتى الخطابات الإنسانية بداية من الخطاب العلمي الذي على أساسه تبنى وتشيد الحضارات وصولاً إلى اللغة اليومية العادية التي يتواصل بها أفراد الشعب وهذا ما كان يتوخاه زكي نجيب محمود عن تبنيه المنهج الوضعي المنطقي لأنه باختصار شديد " حين يحرص على أن تكون طبيعة الفكر الفلسفي واضحة للقارئ المثقف فحرصه نابع من يقين عنده بأنه ضرب من المحال أن تبلغ الحياة الثقافية في أمة من الأمم مداها ما لم تستطيع أن تستقطب أوجه النشاط الكثيرة المبعثرة بين أبنائها بالكشف عما تضره تلك الكثرة المتفرقة من مبدأ واحد مشترك ومن هدف واحد مشترك كذلك..."<sup>1</sup>

والحق زكي نجيب محمود رغم تبنيه للوضعيات المنطقية، التي قيل عنها الكثير فقد استطاع ودون مبالغة أن يكون له مدرسة متميزة ومنفردة ونابعة من المجتمع المصري خاصة والأمة العربية الإسلامية عامة بما أضافه على ذلك هذه الفلسفة من مرونة في الطرح وجده في المعالجة تتناسب وتلك الخصوصيات، كما فعل الشيء نفسه مع فلسفات أخرى كالوجودية والماركسية والبراغماتية التي طرح منها أشياء كثيرة جداً رأى أنها لا تتناسب مع خصوصيات ومميزات المجتمعات العربية الإسلامية، وهنا تظهر لنا جلياً عبقرية وأصالة مفكرنا العربي ذلك أنه كما يقول إبراهيم بدران: " لأن الوضعي المحدث العربي على سبيل المثال قد يختلف عن الوضعي المحدث الأصلي من حدث الدور الذي يمكن أن يؤدي في مجتمعه".<sup>2</sup>

ويقول في موضع آخر: " مما شك فيه أن المجتمع العربي ذو خصوصية معينة بحيث يمكن أن تجعل دور النصير للوضعيات المحدثه في حدودها يختلف عن دور الوضعي المحدث في المنشأ"<sup>3</sup> ومما يجدر ذكره هنا أن زكي نجيب محمود وإن لم يستقر على رأي واحد بالنسبة إلى أخذه بالوضعيات المنطقية كسلاح لمحاربة الخرافة والميتافيزيقا أو بالنسبة إلى رؤية التراث

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "حصاد السنين"، ص198.

<sup>2</sup> إبراهيم بدران وآخرون، "الفلسفة في الوطن العربي المعاصر"، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي الأول الذي نظمتها الجامعة الأردنية، ط2، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، تشرين الثاني نوفمبر 1987م، ص173.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص ن.



وما يجب أخذه منه وما يجب رده، قلنا وإن لم يستقر في كل هذا على رأي واحد، إلا أن ذلك لم ينقص من مكانته وقيمه كمفكر، إن لم نقل فيلسوفاً كان ذا رؤية واضحة وإن لم تكن مستقرة وثابتة إلى ما يجب القيام به لإخراج الأمة العربية الإسلامية من تلك الأنفاق المظلمة التي وجدت نفسها فيها وهو وإن اختلفت طرق المعالجة والتحديث والعصرنة عنده إلا أنه كان يعلم أن لا مخرج ولا منجى إلا بالتمسك والتشبث بالعلم وما يقتضيه العلم وفي هذا قال نصيف نصار " لقد أدرك زكي نجيب محمود أن التجديد الحضاري في العالم العربي المعاصر يقتضي نظرية جديدة في المعرفة الإنسانية تحدد شروط الوصول إلى الحقيقة والتعبير عنها وأدرك أن النهضة تحتاج إلى الإعتماد على العلم وعلى فلسفة العلم، فكرس جهده الفلسفي لشرح الفلسفة الوضعية المنطقية ونشرها بين دارسي الفلسفة في مصر، وغيرها من البلدان العربية".<sup>1</sup>

هكذا وقد لقي زكي نجيب محمود عناءً كبيراً خلال مسيرته الفكرية والثقافية عندما كان يريد نشر منهجه الوضعي المنطقي لما رآه فيه البعض من تركيز على الجانب المادي المحسوس وإغفاله للجانب الروحي الوجداني العاطفي، وهذا حسب بعض الآراء إنكار لكل ما هو غيبي وبالتالي إنكار للدين وللتقنيات التي كانت تعد وتعتبر مسلمات وبديهيات لا تناقش والحق أن تلك الآراء المضادة للوضعية المنطقية وإن كانت مجملها مجانية للصواب.\*

إلا أن البدايات الفكرية لزكي نجيب محمود ساهمت بقسط كبير في تأنيب بعض المفكرين والدعاة عليه، تلك البدايات التي كان يقول فيها بضرورة تقليد ومحاكاة الغرب في كل صغيرة وكبيرة، حتى أدى به الأمر إلى القول والدعوة للكتابة بغير اللغة العربية، هذه الصورة التي تركت انطباعاً مشوباً بالحذر مما كان يدعو ويصبوا إليه، وفي هذا الإطار نكتفي بنقل نص واحد يعبر فيه زكي نجيب محمود عن حزنه العميق وأسفه الشديد وخاصة عندما اتهم في عقيدته ودينه فيقول " وأما الجانب الذي كان له في نفسه أثر عميق وحزين فهو الإتهام

<sup>1</sup> ناصر نصار، " طريق الاستقلال الفلسفي"، سبيل الفكر العربي إلى الحرية والإبداع، دار الطباعة والنشر، ط2، بيرو مايو، سنة 1979م، ص24.

\*: مثلما اتهم به محمد البهي زكي نجيب محمود بالإلحاد راجع كتابه الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط6، القاهرة، سنة 1973م، ص291-319.

الثاني الذي زعم به أصحابه أن كل ما نشره عما رآه ضوابط للفكر الواضح هو في الحقيقة موجه نحو الدين كما هو متمثل في نصوصه لأن تلك النصوص فلم تجئ على نحو ما تجئ القوانين العلمية إذ أقل ما يقال فيها هو أنها تخاطب في الإنسان قلبه وشعوره جنباً إلى جنب مع مخاطبتها لعقله العلمي واستشهد أصحاب هذا الإتهام بكتاب أصدره مفكرنا سنة 1953م وعنوانه "خرافة الميتافيزيقا".<sup>1</sup>

ومع ذلك صمد زكي نجيب محمود في وجه حملات التشكيك والتشويه التي وصلت إلى حد التفكير والخروج عن الملة، وبقي يناضل من أجل تدعيم وإرساء دعائم منهجه الفلسفي من خلال المحاضرات التي كان يلقيها على الطلبة في الجامعة المصرية، أو من خلال المقالات التي كان يكتبها في شتى المجالات والصحف المصرية والعربية، يحده في ذلك أمل في أن يرى العقل مكانته اللائقة في المجتمع العربي المسلم، جهود بذلها مفكرنا العربي تذكرنا بحق بجهود مفكري عصر التنوير في أوروبا للتحضير للثورات الفكرية والسياسية والإنفلات من هيمنة وسيطرة الإقطاع والكنيسة، فقد واصل زكي مشروعه الفلسفي فرفض سلطان الماضي على الحاضر لأنه بمثابة السيطرة يفرضها الموتى على الأحياء، ورفض أن يتحول الإعجاب بالقديم إلى تقديس يوهم بأن ذلك القديم معصوم من الخطأ.... ودعى زكي نجيب محمود إلى أن ينتقل الناس من حالة الإكتفاء بما كتب الأقدمون إلى كتاب الطبيعة المفتوح، كما فعلت أوروبا في بداية نهضتها، كما انتقد أن تظل حياتنا الثقافية في مرحلة السحر التي تعالج الأمور بغير أسبابها الطبيعية.<sup>2</sup>

ذلك أنه لا حظ ما كانت عليه أوروبا آنذاك من تقدم ومن احترام للعقل والإنسان والأخذ بالأسباب الشيء الذي مكنهم من الهيمنة على مقدرة الشعوب المضطهدة التي لم تتكمن من مواجهة ذلك المد الحضاري القوي والمتين، في حين لم تكن الشعوب العربية المسلمة تعرف وتعي ما كان يدور ويجري حولها من تغير سريع ومذهل في كل المجالات فأصبحت تابعة بعد

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "حصاد السنين"، ص30.

<sup>2</sup> أحمد عاطف، "نقد العقل الوضعي"، دراسة في الأزمنة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود، دار الطبيعة للطباعة والنشر، ط1 بيروت، سبتمبر، 1980، ص8.

أن كانت قائدة، مكتفية وتمسكة بما تركه لها الأسلاف غير مدركة وعابئة بما أنيط بها من وظائف ومهام في سبيل الخروج من مظلمات الجهل إلى نور العلم والعقل، وقد كان مفكرنا العربي في تبنيه للوضع المنطقية على إدراك ووعي بما كانت تتميز به الأمة العربية والإسلامية من مميزات وخصوصيات، وبما تنفرد به من أشكال التراث المختلفة الشيء الذي جعله حريصاً على إخضاع وتكييف ذلك المنهج وفق ما تتطلبه وتستلزمه الظروف التي أراد لمنهجه أن ينمو ويتوسع فيها فكان دائم التفكير والتأمل بأن الوضع المنطقية وإن كانت بوجه يضع تحليلها إلى ما هو ورائي ميتافيزيقي، إلا أن ذلك لا يخرج على إطار العلم، وما عدا ذلك فله كل الحرية في اعتقاد ما شاء من عقائد، والعمل بمقتضاها، ولكن بشرط أن لا يتعدى ويتجاوز حدودها إلى الخطاب العلمي الذي يتطلب ويقتضي الدقة والموضوعية، وفي هذا يقول إمام عبد الفتاح إمام " فلم تكن توجهه إلى الوضع المنطقية يهدف إلى اعتناق مذهب فلسفي يعارض به المذاهب الفلسفية الأخرى بقدر ما كان عثوراً على طريقة للسير ومنهج للنظر رأى أنه يفيد في إصلاح التسيب والإعوجاج الذي يشاهد في حياتنا الثقافية، وذلك لأن الوضع المنطقية إذ كانت قد صبت كل اهتمامها في مجال التفكير العلمي، فقد اعترفت في الوقت نفسه بأن هذا التفكير ليس هو كل النشاط الذهني للإنسان، وإنما هو جزء من هذا النشاط، فهناك إلى جانب التفكير العلمي ضروب الوجدان بشتى صفوفها ومن أهمها الجانب الديني من الإنسان، ومن هنا جاءت أهمية فصل الوضع المنطقية بين هذين المجالين...".<sup>1</sup>

ولعل من بين القضايا المهمة استثمرها زكي نجيب محمود من المنهج الوضعي المنطقي لخدمة مشروعه الفلسفي والحضاري بشكل عام، ما كان يعرف بالفصل بين القضايا التحليلية والقضايا الطبيعية والتجريبية، أو بتعبير أدق بين القضايا التحليلية والقضايا التركيبية وفي هذا يقول " أهم ما قد انتهت إليه هذه الطائفة الوضع المنطقية من نتائج، نتيجة تكون أخطر كشف فلسفي في العصر الحديث كله. وهي التمييز الفاصل بين القضية في العلوم الرياضية

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام-زكي نجيب محمود في جامعة الكويت، خمس سنوات خصبة في حياة الفيلسوف، من 1968-1973م مجلة عالم الفكر، مجلة 27 عدد 3 يناير -مايو سنة 1976م ص-ص 176-177.

والقضية في العلوم الطبيعية، تميزاً يجعل الأولى تكرارية لا تنبئ بخير جديد، ويجعل الثانية إخبارية يتعرض فيها الخبر الذي نحمله الصواب والخطأ، ومن ثم كان اليقين في الرياضيات وكان الإحتمال في العلوم الطبيعية، فالصيغة الرياضية يقينية لأنها تحصيل حاصل لا يضيف جديداً، وأما القانون الطبيعي فاحتمالي لأنه وصفي وكل وصف يحتمل الخطأ كما يحتمل الصواب".<sup>1</sup>

وهذه التفرقة التي رآها مفكرنا العربي في المنهج الوصفي المنطقي تعد الأسباب التي حفزته على تبني المنهج الوصفي لما يضمنه من تمييز وتفرقة بين القضايا الوجدانية والقضايا العلمية بشتى أنواعها وأشكالها كالإقتصاد والتسيير والفلاحة والتكنولوجيا وغيرها، هذا الفصل الذي يعصم الإنسان من الخلط بين منهجي المجالين، مما يؤدي إلى انتشار وشيوع الغموض واللبس ذلك أن القضايا التركيبية أو الطبيعية كما يؤكد كل الوضعين المنطقيين هي قضايا إحتمالية، بمعنى أنها تحتمل الخطأ كما تحتمل الصواب، في حين أن القضايا الرياضية ما هي إلا تحصيل حاصل وهذا ما أراد مفكرنا العربي استثماره في الحقل الثقافي لخدمة مشروعه وفي هذا الصدد يقول متسائلاً: "ونسأل الآن ما هي أهمية هذه التفرقة بين مجموعتي العلوم الرياضية والطبيعية في مواقفنا الثقافية العامة؟ في حين جوابنا عن هذا السؤال: هي أن مجال التعبير الوجداني بكل أشكاله ما هو من قبيل الفكر الرياضي موضوعاً ومهجاً، ولا هو من قبيل الفكر الطبيعي موضوعاً ومنهجاً، لذلك نخطأ إذا نحن عاملناه بمقياس أي من المجموعتين".<sup>2</sup>

واضح من خلال ما أسلفناه من كلام مفكرنا العربي أنه كان على وعي بما كان يهدف ويصبوا إليه من تبنيه المنهج الوصفي المنطقي الذي كان يعتبره دائماً منهجاً للتفكير، لا فلسفة إيجابية تحمل منظومة فكرية معينة، لا تخضع للمقاييس التجريبية، وفي ذلك إشارة من حرصه

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "المنطق الوضعي"، ج1، تر: إمام عبد الفتاح إمام، تقديم زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية

ط4 القاهرة، 1966، ص م.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "المنطق الوضعي"، ص99.

على أقلمة ذلك المنهج أي المنهج الوضعي المنطقي، بما يتماشى ويتوافق وعقيدته الإسلامية السمحاء.

ومن بين الدواعي كذلك التي أدت بالمفكر العربي إلى تبني طروحات الوضعية المنطقية وتفضيلها على غيرها من الإتجاهات على أمل أن يجد فيها استجابات لانشغالاته، وقد رأى فيها المنهج المناسب لفحص التراث فحصاً علمياً دقيقاً، نجد منها عدة مدارس تعتبر مصادر الوضعية المنطقية و هي:

أ- المدرسة السقراطية: في الحقيقة، إن الوضعية المنطقية ليست جديدة العهد أو وليدة اليوم. بل تأثرت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بالفلسفة التحليلية عند الأولين والسابقين. لكنها طورتها بما يتماشى ويتفق مع فلسفتها، وأهدافها العالية التي كانت تطمح للوصول إليها، مع العلم أن أول من استخدم المنهج التحليلي هم جماعة السفستائيين (جورجياسو بروتاغوراس) اللذان كانا هدفهما الأساسي هو تحليل المعرفة، كما تأثرت الوضعية المنطقية كذلك بالمنهج السقراطي الذي حاول هو الآخر، تحليل مفهوم الألفاظ، ولعل المكانة والمرتبة الرئيسية التي يحتلها سقراط في الفكر الإنساني والعالمي مردها ومرجعها إلى استعمال واستخدام أسلوب التحليل وفق النقاش والحوار البناء، وكان كذلك أفلاطون فيلسوفاً تحليلياً في الكثير مما تعرض له في محاوره بارمينيتس وكذلك تأثرت بتحليلات أرسطو في مسألة العدالة والشجاعة... إلخ، وهذه في الحقيقة نماذج وعينات حقيقية عن المدرسة السقراطية التي تدل وتوضح وتبين لنا على أن فكرة التحليل أو التحليل له خطورته التي تفوق منذ الماضي السحيق.<sup>1</sup>

ب- المدرسة الأمبريقية\*: لا شك في أن المصدر الثاني الذي أخذت عنه الوضعية المنطقية وتأثرت به إلى حد بعيد ما، إنما هو " فرانسيس بيكون -1561م-1626م " و"جون لوك 1632م-1714م " " باركلي 1685م-1753م " " دفيد هيوم ". والدليل على هذا أن

<sup>1</sup> لظفي بركات، "فلسفة الوضعية المنطقية والتربية"، دار النهضة العربية، بيروت، سنة 1967م، ص15.  
\*: المدرسة الإمبريقية: هي اتجاه في نظرية المعرفة بحيث يرجع المعرفة إلى اللجوء والإحتكام للواقع بواسطة وعن طريق ملاحظته واختياره.

الوضعية المنطقية وجدت في " بيكون " المبشر و "جون لوك" الموجه والمخطط و "هيوم" الناقد المصلح الحقيقي للإتجاه الوضعي المنطقي.

فإذا كان فرانسيس بيكون قد حلل أوهام العقل تحليلاً يؤكد قولنا الأول، وجون لوك يؤكد على ضرورة وفحص وتحليل قدراتنا الخاصة، قبل إصدار حكم ما، بل عمله ينحصر في تحليل هذه القضايا بإبعاد وإزاحة العوائق عن طريق المعرفة الإنسانية، وفي هذا الإطار نجد "باركلي" ذلك الفيلسوف التحليلي الذي قام بتحليل المادة والأفكار المجردة حتى إن عبارته المشهورة مازالت تتردد "وجود الشيء هو إدراكه"<sup>1</sup>

كما أنه يمكن القول بأن "دفيد هيوم" هو المبشر الأول للمنهج التحليلي المنطقي من خلال قيامه بتحليل مسألة السببية، والذاكرة، الذات، الجوهر، والأفكار البسيطة والأفكار المجردة.

ت- إيمانويل كانط (1724-1804): أما فيما يتعلق بالمصدر الثالث الذي تأثرت به الوضعية المنطقية، هو الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانط" الذي كانت فلسفته في الحقيقة فلسفة تحليلية نقدية بالدرجة الأولى للقضايا المتنوعة بحيث يصرح أن عمله لا ينحصر في معالجة المواقف بالبحث والدراسة والتحليل أو القبول أو الرفض، وإنما بالكشف والبحث عنها وتوضيحها وتبسيطها. بل إن القارئ لمؤلفات "كانط" يشعر بمدى اهتمامه بالمنهج التحليلي، وقد استخدم كلمة نقد مرادفة لكلمة تحليل.

إضافة إلى ذلك قد صرح أن مهمة منهجه الأساسية تتمثل في تحليل إمكانية المعرفة في شتى مجالاتها ولعل ما يقرب "كانط" من الوضعية المنطقية هو تمسكه بالخبرة كأساس حقيقي للمعرفة العلمية السليمة وإلحاحه وتأكيدده على أن الإنسان إذا تجاوز وتعدى حدود الخبرة سلم نفسه للخطأ كذلك هجومه على الميتافيزيقا، ومحاولة إقامتها على أسس علمية صحيحة.<sup>2</sup>

ث- المذهب الوضعي: و رائد هذا المذهب هو الفيلسوف الفرنسي "أوغست كونت" الذي استعان بالتفكير العلمي عن التفكير اللاهوتي والميتافيزيقي، وربط المعرفة بالواقع الحسي المادي لا بالتأملات والتخمينات المجردة، واستخدام منهج تحليلي يقوم على الملاحظة والتجربة.

<sup>1</sup> لطفى بركات، " فلسفة الوضعية المنطقية والتربية"، ص31

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص32.

ومن هنا يظهر لنا جلياً بشكل صريح التأثير خاصة في مهاجمته للأخلاق الميتافيزيقية وإيمانه بوضعية العلم ومبادئه بضرورة تحرير الفلسفة من الإفتراضات والإحتمالات التعسفية الباطلة، كما يظهر كذلك في مناداته بضرورة الإرتباط بالظواهر الحسية، وتحليل الظروف الإنسانية وربطها بعلاقات عن طريق التعاقد والتشابه.<sup>1</sup>

ج- **المذهب النفعي**: من أبرز رواد هذا المذهب هو "جون ستيوارت ميل" مع العلم أن عباراته لا زالت تتردد على السنة جماعة " حلقة فينا" والقائلة "إن تصوري للعلم مستمر طالما أحس به"<sup>2</sup> وهنا بالضبط نفهم ماذا تعني الوضعية المنطقية وتأثرها بالمذهب النفعي

ح- **المذهب البراغماتي**: مما لا شك فيه أن المصدر الأخير الذي تأثرت به الوضعية المنطقية هو في الحقيقة المذهب الذي يتأسسه "ساند برس" و"جون ديوي" حيث أن كلا من الوضعية المنطقية والمذهب البراغماتي يؤمنان بضرورة المنهج التحليلي القائم على أساس التحقيق في هذا الإطار يقول "ويليام جيمس" " إن أفكارنا الصادقة هي التي يمكن تحقيقها"<sup>3</sup> مع العلم أن كلاهما يؤمن بأن الحس هو الأداة للوصول إلى المعرفة ويرفض كل صورها المتعالية عن الحس كما أن كلاهما يؤمن بنسبية القيم وفي هذا السياق يقول "جون ديوي": " ليس هناك خيرية قصوى، ولا شرية قصوى مطلقة كل موقف يتسم بخيرية لا تتشابه مع الموقف الآخر". وفي الحقيقة أن كلاهما يهدف ويسعى ويطمح إلى توضيح الفكر وإزالة الغموض عنه وفي هذا يقول "ساند برس" " إن أفكارنا عن الشيء هي أفكارنا عما ندركه من آثار حسية "<sup>4</sup>.

هذه هي باختصار أهم المصادر التي تأثرت بها الوضعية المنطقية، والتي تعد بمثابة القاعدة التي شيدت عليه المدرسة الوضعية المنطقية بناءها وصرحها الفكري والعلمي.

<sup>1</sup> لطفى بركات، " فلسفة الوضعية المنطقية والتربية"، ص33

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص 34.

<sup>3</sup> المرجع نفسه ، ص40.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص41.

## الفصل الثاني

فكر زكي نجيب محمود بين التراث والتجديد



الفصل الثاني: فكر زكي نجيب محمود بين التراث والتجديد.

المبحث الأول: الإنسان والتراث.

المطلب الأول: موقف زكي نجيب محمود من الميتافيزيقا.

لما كان "زكي نجيب محمود" قد أعلن صراحة في العديد من مؤلفاته أنه من أنصار المذهب الوضعي المنطقي، وأنه يؤمن بالعلم والإتجاه التجريبي، وأكد على أن الفلسفة تحليل كما أراد لها فلاسفة الوضعية المنطقية، فإنه ذهب بعد ذلك إلى رفض الميتافيزيقا، وذلك تطبيقاً منه لمبادئ مذهبه الجديد، حتى أنه خصص مؤلفاً ليبين أنها مجرد لغو وكلام فارغ من المعنى فكان مؤلفه "خرافة الميتافيزيقا" الذي عرض فيه موقفه من هذا الركن الهام في الفلسفة كلها، عدا الفلسفة الوضعية سواءً كانت الوضعية الكلاسيكية أو الوضعية المنطقية وبذلك هو يقف موقف الرفض لهذا الركن فهو يقول في كتابه " المنطق الوضعي": "وكالهرة التي أكلت بنيتها جعلت الميتافيزيقا أول صيدي، جعلتها أول ما أنظر إليها بمنظار الوضعية المنطقية، لأجدها كلاماً فارغاً لا يرتفع أن يكون كذبا، لأن ما يوصف بالكذب هو كلام يتصوره العقل ولكن تدحضه التجربة... أما الميتافيزيقا فهي رموز سوداء تملئ الصفحات بغير مدلول، وإنما يحتاج الأمر إلى تحليل منطقي يكشف عن هذه الحقيقة"<sup>1</sup>.

رأى "زكي نجيب محمود" الميتافيزيقا مادام أنه نصير الوضعية المنطقية، فالميتافيزيقا هي لغو، ولما كانت الفلسفة تحليل للألفاظ والعبارات، وجب التفرقة بينهما، فإذا كانت الفلسفة وبهذا المعنى الذي أعطتها إياه الوضعية المنطقية ومن بعدها "زكي نجيب محمود" مقبولة وضرورية في الحياة الفكرية، فإن الميتافيزيقا هي بحث في شيء غير موجود أو هي بحث ما ورائي بناءً على ذلك " وجب حذفها من دائرة المعارف الإنسانية لأنها لاهية مزودة بأدوات المشاهدة

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "المنطق الوضعي"، ج1، المقدمة ص د.

التي تمكنا من الحكم على الأشياء ، ولاهي ارتضت لنفسها أن تسمع ما يقوله المؤهلون لذلك مكتفية بتوضيحه وفهمه".<sup>1</sup>

ولقد جرى العرف أن تطلق كلمة فلسفة على عدة مواضيع مختلفة، ولكن هذه المواضيع يمكننا تبويبها وتصنيفها في صنفين هما مواضيع تحليلية ومواضيع تركيبية، فالأولى من صنف الرياضيات والمنطق، والثانية من صنف العلوم الطبيعية، ولما كانت أي عبارة توصف بالصدق أو الكذب لا يمكن أن تخرج عن هذين النوعين، فإنه لا يمكن أن تكون الميتافيزيقا من صنف هذه العبارات، فالميتافيزيقا هي كلام يمكن وصفه بالصدق والكذب " فهل يقول لنا الميتافيزيقي إذن عبارات تحليلية كهذه التي يقولها الرياضي ؟ لو كان أمره كذلك لقل في كلامه ما يقال في القضايا الرياضية ... لكن أمر الميتافيزيقي ليس كذلك فلا هو يقول عبارات تركيبية ولا عبارات تحليلية، فهو يقول كلام فارغ لا يحمل معنى ".<sup>2</sup>

كلام الميتافيزيقي فارغ من الدلالة، وخال من المعنى لأن مايقوله كلام عن الحقائق الغيبية ولو حللنا هذه العبارات لوجدناها فارغة وهذا الخلو من المعنى العائد في حقيقة الأمر إلى سوء استخدام اللغة كما يذهب إلى ذلك "زكي نجيب محمود"، وذلك في كتابه "خرافة الميتافيزيقا" فهذه الألفاظ التي من قبيل "المطلق" "العدم" " الوجود" " الخير" ... إلى غير ذلك من ألفاظ خالية من المعنى، ولقد نشأت من النظر الخاطئ للغة وهذا الخلط حسب "زكي نجيب محمود" كان نتيجة عن عجز العقول على فهم اللغة وتراكيبها، وهذا أدى في النهاية إلى نشأة الأسئلة الميتافيزيقية التي لا وجود لها في الأساس غير أنه بالتحليل المنطقي للغة يمكننا القضاء على مثل هذه الأسئلة الميتافيزيقية، وبين "زكي نجيب محمود" أنها ألفاظ وأشباه عبارات لهذا وجب حذفها من مجال البحث الفلسفي. فأعلن صراحة عن هذا وأكد على وجوب رفض الميتافيزيقا لأنها تتحدث عن شيء غير موجود في الواقع، وذهب إلى نفس الرأي الذي رآه "هيوم" في القرن الثامن عشر بضرورة رمي كل ما ليس بعلم إلى ألسنة النار إذ يقول

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا، ص21.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص81.

"زكي نجيب محمود"<sup>1</sup> ومادامت الميتافيزيقا كلاماً فارغاً... فماذا نحن صانعون بهذه الأسفار الضخمة التي تراكمت لدينا على مر القرون مما كذبه الميتافيزيقي إنه لعزيز عليّ وعليك أن نلقي بهذه الأسفار كما ينبغي لها طعاماً لألسنة النار، أو أثقالاً في قاع المحيط، إذا فلنبق عليها ليقراها القارئ إذا أخذه الحنين إلى الماضي كما يقرأ أساطير الأولين".<sup>1</sup>

الميتافيزيقا إذن عبارة عن أقوال لا وجود لها في الواقع، ولا يمكن بذلك التثبت منها، ولذلك كل قول من هذا القبيل هو كلام فارغ لا يعالج شيء على الإطلاق، وبناءً على ذلك لم يعد للميتافيزيقا مكاناً في ميدان الفلسفة هذا ما يؤكد عليه زكي نجيب محمود في معظم مؤلفاته فهو يقول في كتابه "شروق من الغرب" "إن الميتافيزيقا أسطورة من أساطير الأولين... وهنا تأتي قصة القطة السوداء، فقد قيل عن الفيلسوف الذي يجعل همه مثل هذا البحث العقيم. أنه رجل أعمى يبحث في غرفة مظلمة عن قطة سوداء لا وجود لها".<sup>2</sup>

وهكذا إذن فالميتافيزيقا كلام لا ليحمل معنى لذا وجب الإستغناء عنها ولا يجوز البحث فيها واختلاف الرأي حول أشياء لا وجود لها وإذا أردنا أن يكون لكلامنا معنى علينا بحذف الميتافيزيقا وهكذا لا يبقى للفيلسوف سوى العلوم الطبيعية والرياضيات التي يجب البحث فيها وتحليلها تحليلاً منطقياً.

"ولذلك علينا بحذف الميتافيزيقا من مجال الكلام المشروع لأن التحليل تحليل عباراتها الرئيسية تحليلاً منطقياً قد بين أنها عبارات خالية من المعنى أي أنها ليست بذات مدلول حتى نصفها بالصواب أو بالخطأ".<sup>3</sup>

ويقول "زكي نجيب محمود" في كتابه "موقف من الميتافيزيقا" الذي هو طبعة ثانية "لخرافة الميتافيزيقا" أن الغاية الرئيسية من هذا الكتاب هو تبيان أن العبارات الميتافيزيقية هي عبارات خالية من المعنى وذلك لأن مباحث الميتافيزيقا لا يمكن إدراكها بحاسة من الحواس،

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، ص 169-170.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "شروق من الغرب"، ص 302.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "حياة الفكر في العالم الجديد"، ص 238.

ومن بين هذه المسائل التي تحتل حيزاً كبيراً من تفكير الفلاسفة الخير والجمال وبهذا كان الخير والجمال من المواضيع الميتافيزيقية التي يرفضها زكي نجيب محمود فهو يقول " ولذلك نحن نجعل العبارات التي نتحدث عن الخير والجمال في زمرة الميتافيزيقا التي حددناها لها ولذلك نرى أن العبارات التي نتحدث عن هاتين القيمتين خالية من المعنى، ولا تصلح لأن تكون علماً ولاجزءاً من علم".<sup>1</sup>

إن السبب الذي يجعل من العبارات الأخلاقية أو الجمالية خالية من المعنى هو أنها عبارات لا يمكن وصفها بالصدق أو الكذب، والقضايا ذات المعنى هي إما تحليلية أو تركيبية، وما عدا ذلك فهي عبارات خالية من المعنى.

" الذي نريد أن نقدره هو أن الجملة الأخلاقية أو الجمالية أي الجملة التي من قبيل قول القائل عن شيء ما أنه خير، أو أنه جميل هي عبارة بغير معنى... أي بغير واقعة خارجية تكون في العبارة بمثابة الأصل من صورته، يرجع إليه النظر إن كانت الصورة صحيحة أو غير صحيحة".<sup>2</sup>

بعد أن بين زكي نجيب محمود كيف أن العبارات الأخلاقية والجمالية عبارات لا يمكن التحقق منها وذلك بالرجوع إلى الواقع لأنه لا يوجد شيء اسمه جميل ولا يوجد شيء اسمه خير، بل توجد أشياء نحكم عليها بالجمال وأخرى بالخيرية ويذهب بعد ذلك إلى استبعاد الأخلاق والجمال من مجال العلم فهو يقول " الجملة الأخلاقية أو الجمالية ليست بذات بمعنى ولذلك فهي لا تصلح أن تكون جزءاً من علم لأن الشرط الأساسي الذي يجب أن يتوفر في أية قضية علمية هو إمكان التحقق من صدقها ولا يكون هذا التحقق ممكناً إلا إذا كان المعنى موضوعياً يشترك فيه الناس جميعاً".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، ص 110.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 110.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، ص 123.

الأخلاق والجمال كما هو معروف هي عبارة عن أحكام ذاتية ولذلك حسب زكي نجيب محمود الذي يتبع في هذه النقطة كما فعل في جميع المبادئ " الوضعية المنطقية " يرى أن العبارة الأخلاقية أو الجمالية هي التعبير عن حالة شعورية خاصة بفرد معين ولهذا فهي ليست عبارات علمية بل عبارات ميتافيزيقية وجب حذفها من دائرة البحث.

كان هدف زكي نجيب محمود من نقده ورفضه للميتافيزيقا هو نقد الواقع الذي وصل إليه الوطن العربي آنذاك، نقد ما ساد من استهتار في جانب التفكير والتعبير فكان هدفه من رفض الميتافيزيقا هو رفض كل فكرة لا أساس لها في الواقع يمكن بعد ذلك العودة إليه لاختبار تلك الفكرة إذا كانت صادقة أو كاذبة ورأى زكي نجيب محمود أن مواضيع الميتافيزيقا رغم أنها بعيدة عن الواقع وقريبة إلى الأوهام والخرافات إلا أن المفكرين في الوطن العربي يهتمون بها وبالبحث فيها ومن هنا كانت ثورته على تلك المواضيع التي صرفت ولا زالت تصرف ذهن المفكر العربي عن التفكير والبحث في مشكلات عصره ليتحدث عن أوهام لاتربطه بالواقع الذي يعيش فيه.

وكان هدف زكي نجيب محمود من هدم الميتافيزيقا هو الإقتصار في المعرفة على المنهج التجريبي والتأكيد على أن الطريق الصحيح الذي يجب أن تسير عليه الأمة العربية في تفكيرها هو طريق العلم، والمنهج الواجب اتباعه هو المنهج الوضعي المنطقي فهو يقول " وإذا كانت الميتافيزيقا هدف النقد والهدم، فما ذلك إلا لنصنع منوالاً إلا أمام قارئ ينسج عليه عباراته ومقياساً يميز به ما يصلح أن يكون قولاً عملياً مقبولاً".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، المقدمة ص د.

## المطلب الثاني: التراث في فكر زكي نجيب محمود.

تعد مسألة التراث من أهم المسائل التي شغلت الطبقة المثقفة في الوطن العربي، ولقد كان التراث ولازال يأخذ حيزاً كبيراً من تفكير هؤلاء فهو محط اهتمام جل المفكرين العرب من الداعين إلى العودة إلى هذا التراث والأخذ منه، أو الداعين إلى رفضه وتجاوزه واستبداله بعلوم أخرى هي علوم الغرب.

ولهذا كانت هناك نزاعات مختلفة فهناك النزعة السلفية وهم من اعتبروا تراث الأسلاف أمراً مقدساً لا يُمس وأنه مازال يحمل قيمة بالنسبة إلى عصرنا هذا، وفي مقابل هذا كان رأي آخر أو مجموعة من المفكرين تشربت من علوم وثقافة الغرب، واعتبروا التراث لم يعد بإمكانه أن يكون سلاحاً للتقدم والتحضر، وبعد "سلامة موسى" من الذين رأوا هذا الرأي وذلك في المراحل الأولى من حياته الفكرية، فهذا الأخير دعا إلى استبدال الحروف العربية بالأجنبية فهو يقول "الواقع أن اختراع الخط اللاتيني هو وثبة للمستقبل، لو عملنا به لاستطعنا أن ننقل مصر إلى مقام تركيا التي أغلق هذا الخط أبواب ماضيها وفتح لها أبواب مستقبلها"<sup>1</sup>.

كما رأى أصحاب هذا الإتجاه أن التراث هو إنتاج الماضي يجب القفز عليه حتى يمكننا أن نقفز على التخلف الذي يعانيه المجتمع العربي.

وبين هذا وذاك كان لزكي نجيب محمود موقف من التراث، ولكن موقفه من التراث العربي الإسلامي كان بين مدٍ وجزر إن صح التعبير فهو في مرحلة معينة وهي مرحلة الوضعية المنطقية رأى أن هذا التراث قد فقد مكانته، ولم يعد ذا أهمية في حياتنا الفكرية وذهب إلى رفضه، كما قدم عدة مبررات وأسباب لرفضه هذا التراث، وفي مرحلة أخرى رأى أنه يمكنه الاستفادة منه وذلك من خلال وقفات الأسلاف العقلية، وهذا ما سنبينه في الخطوات التالية:

<sup>1</sup> سلامة موسى، "البلاغة العصرية واللغة العربية"، مصر، 1945، ص 137-138.

## أسباب رفض التراث:

يرى زكي نجيب محمود أن التراث العربي الإسلامي الذي ورثناه عن الأسلاف قد فقد مكانته بالنسبة إلى عصرنا هذا " لأنه يدور على محور العلاقة بين الإنسان والله على حين مانلتسمه اليوم في لهفة مؤرقة هو محور تدور عليه العلاقة بين الإنسان والإنسان " <sup>1</sup>.

مانفهمه من هذا القول هو أن التراث العربي الإسلامي قد أصبح عديم الفائدة، وذلك في وقتنا الحالي، وهذا راجع إلى الإختلافات الكثيرة بين اهتمامات الإنسان العربي القديم، أو اهتمامات الأسلاف التي جسدها في هذا التراث، واهتمامات الإنسان العربي المعاصر، فإذا كانت مثلاً مسألة " صفات الله " أو مسألة " خلق القرآن " أو غيرها من المسائل قد شغلت المتكلمين والفلاسفة على حدٍ سواء، فإن المفكر العربي في وقتنا الراهن، ومن ورائه الإنسان العربي المعاصر، لم تعد هذه المسائل من أولوياته للبحث فيها، بل أصبح عليه البحث في مسائل أخرى كالبحث في كيفية اللحاق بالركب الحضاري، والبحث في منجزات العلم المعاصر

ويذهب زكي نجيب محمود إلى التأكيد على ضرورة ترك التراث وشأنه فهو يقول " إن دراستنا للتراث دراسة واعية، تنتهي بنا هي نفسها إلى ترك مادة التراث، من حيث مضمون فكري بذاته وخصائصه " <sup>2</sup>.

إن هذا الموروث الثقافي في نظر زكي نجيب محمود قد فقد قيمته لأنه مجرد شروح وتعليق: " باستثناء أصول قليلة جداً فيها أصالة وابتكار، هناك الألوف من المجلدات التي لاتضيف حرفاً واحداً جديداً فهي شروح، وشروح الشروح وتعليق على تعليق " <sup>3</sup>.

ولهذا رأى زكينجيب محمود أن اكتفاء المفكرين العرب باستمداد فكرهم من كتب التراث قد يجعل البعض منا يعتقد أن العودة إلى الماضي هي سبيل التقدم لكن هذا غير صحيح والواقع يثبت ذلك فإذا إلى نظرنا إلى ماحولنا نجد أن الغرب يتقدم يوماً بعد يوم، وذلك لاهتمامه بما

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، " تجديد الفكر العربي "، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الشروق، 1978م، ص110.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، " المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري "، الطبعة الثانية، بيروت، 1978م، ص110.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، " تجديد الفكر العربي "، ص55-56.

حوله، أي اهتمامه بالحاضر والمستقبل، أما المجتمع العربي فإنه يتخلف يوماً بعد يوم وذلك لأنه منصرف عما هو حاضرن ومنهمك في إعادة تكرار ما موصل إليه الأقدمون من علم ومعرفة.

ويرجع زكي نجيب محمود تخلفنا الفكري إلى العودة إلى التراث فهو يقول " وأني لأزعم أن إحدى العلل الكبرى التي قيدت انطلاقتنا الفكرية نحو أن يبدع فكراً جديداً مع المبدعين، هي أننا إذا اكتفينا في معظم الحالات بحفظ ما كتبه الآخرون من الماضي، فدارت بنا الحياة فأفلتت منا حقائق الأشياء، وأصبحنا كمن يعيش في ضلالها " <sup>1</sup>.

إن سبب رفض التراث كما رأى زكي نجيب محمود هو أن حياتنا اليوم وما تحويه من مشاكل لم يعد في وسعنا معالجتها بما ورثناه من قيم، وذلك لسبب بسيط هو أن هاته المشاكل ليست هي نفسها التي واجهت الأسلاف.

ولهذا فهو يؤكد على أنه يجب علينا أن نستوعب فكرة ذات أهمية كبيرة، وهي أننا في تحول والعالم من حولنا يتغير هو الآخر، ولذلك لا يمكن أن تكون هناك سلطة للماضي على الحاضر.

ويقوم زكي نجيب محمود بمحاولة الإجابة عن سبب تخلفنا الثقافي ويخلص في النهاية إلى الجواب التالي " ذهب قدرتنا على خلق الفكرة الجديدة، واكتفينا بتبعية نقتضي أثر القدمين في محاكاة بليدة عاجزة " <sup>2</sup>.

لقد بلغت أوروبا ما بلغته من تقدم لأنها اتجهت إلى دراسة الواقع المحسوس، وملاحظة الطبيعة، بينما في مجتمعاتنا العربية فإن مفكريها ذهبوا إلى قراءة ما كتبه الأولون، وماتوصل إليه الأقدمون من أسلافنا، هذا ما يراه زكي نجيب محمود، ولهذا فهو يقول " لماذا تقدمت أوروبا بعد تخلف، وتخلفنا بعد تقدم ؟.. لقد حاولت أوروبا منذ نهضتها أن تقف الوقفة

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، " بذور وجذور"، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، 1990م، ص116.  
<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، " هذا العصر وثقافته"، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، 1982م، ص56.



العلمية التي تبتكر بها كل يوم حقيقة جديدة، بينما اتجهنا نحن خلال الفترة نفسها نحو الماضي بندي في نصوصه المكتوبة وتعبد".<sup>1</sup>

إن تعلقنا بتراثنا وإعادتنا إليه، وانصرافنا عن العلم الحقيقي هو ما جعلنا نتخلف بهذا القدر الذي نحن فيه وهكذا إذن كانت نظرة زكي نجيب محمود التي لاتخلو من ذلك التأثير العميق بعلم الغرب وإنتاجاته، حتى أنه تمنى يوماً من الأيام كما أورد ذلك في كتابه "شروق الغرب" أن نبتز التراث ونقطع الصلة به نهائياً، وأنه لا يكون لنا خلاص من ذلك التخلف الثقافي إلا إذا كتبنا من اليسار إلى اليمين وأكلنا كما يأكلون.<sup>2</sup>

ويقوم زكي نجيب محمود بإجراء مقارنة بين ما شهدته أوروبا من أعلام، وأعمال علمية، وما عرفته الأمة العربية هي الأخرى من إنتاج ثقافي، وذلك في كتابه "هذا العصر وثقافته" فيرى أن أوروبا عرفت فلاسفة وعلماء من طراز جليلو ونيوتن وديكارت وعشرات غيرهم ممن أقاموا لسلطان العقل عروشهم، ثم وجدنا هنا من الأعلام، رجالاً من أمثال محمد المشهدي، محمد بن عنان، وإبراهيم الميموني... الخ ممن جعلوا سلامة الإمتياز مقدار ما حفظوه، وما شرحوه.<sup>3</sup>

وهكذا إذن انصرف علماء أوروبا إلى دراسة الطبيعة التي قال عنها "جليلو" ذات يوم أنها كانت مفتوحة، وأعطوا للعقل القيمة الكبرى بينما في أمتنا العربية اتجه مفكروها إلى إعادة قراءة ما وجدوه عند أسلافهم، وتكرار ما توصل إليه الأسلاف من علم ومعرفة ظناً منهم أنه بإعادة تكرار التراث تبلغ التقدم الفكري والعلمي إلا أن التراث حسب وجهة نظر زكي نجيب محمود يعد عائقاً في وجه تقدمنا ولننظر إلى الأمم التي من حولنا كيف بلغت ذلك الرقي والإزدهار على جميع الأصعدة لعنا نجد عندهم ما يمكن أن يكون سبيلاً لبلوغنا الحضارة.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "هذا العصر و ثقافته"، ص 56.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "شروق من الغرب"، ص 20.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "هذا العصر وثقافته"، ص 56.

" إن أوروبا حين نهضت من عصورها الوسطى، كان سر نهوضها هو أن خرجت من بطون الكتب إلى عالم الأشياء، إلى دنيا الواقع، تقرأ كتاب الكون لتضيف علماً جديداً إلى علم قديم وهنا وقف العالم العربي مكانه من الورق وماكتب عليه، وترك أوروبا تنفرد وحدها بكتاب الطبيعة فكان لها من الوثبات في الكشف عن أسرار العالم، ثم كان للأمة العربية من وقوفها تعبد ما كانت قد بدأتها وفرغت منه، ثم تعيده مرة ثانية وثالثة".<sup>1</sup>

ولما كان زكي نجيب محمود من المفكرين الداعين إلى قطع الصلة نهائياً بالتراث، والاتجاه نحو العيش مع من يعيشون في عصر العلم والحضارة، وذهب إلى حد تشبيهه من يأخذ بالقديم ويعيد تكرار تراثنا الثقافي وهو يعتقد أن هذا الموروث الثقافي هو طريقتنا للحضارة، بشخصيته التي تكلم عنها " سيرفانتيس" فهو يقول "عندما صور سيرفانتيس هذه الشخصية شخصية دون كينوته كان بمثابة من يقدم للناس صور رجل يجسد عهداً مضى، فمن أراد أن يعيده كما كان ... بذلك أعجوبة تدعو إلى الضحك".<sup>2</sup>

إن استعارة مثل هذا التشبيه يؤكد لنا مدى حرص زكي نجيب محمود على ضرورة ترك التراث، فهو في الكثير من الأحيان يتخذ المواقف المتشددة تجاه هذا الموروث الثقافي، وذلك نتيجة تأثره بالفلسفة الوضعية المنطقية فهو يرفض هذا التراث كما رفض الميتافيزيقا من قبل، وهذا التأثير واضح في قوله: "إننا لولا علوم الغرب لظهرت حياتنا الفكرية على حقيقتها، فإذا هي لا تختلف كثيراً عن حياة الإنسان البدائي في بعض مراحلها الأولى".<sup>3</sup>

إن زكي نجيب محمود كغيره من المفكرين العرب الذين صوبوا عيونهم تجاه علوم الغرب وثقافة الآخر المتحضر يرى أن الإنسان العربي المتفق عليه أن ينتقل من قراءة الأولين إلى قراءة كتب الطبيعة مثله مثل غيره المثقفين الغربيين، علينا أن نخرج من عالم الكتب إلى عالم الواقع الحسي نبحت ونفترض ونجرب ونكتشف.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "بذور وجذور"، ص 125.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "هذا العصر وثقافته"، ص 30.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 61.

إن حياتنا الثقافية في هذا العصر الذي هو عصر العلم لازالت تركز إلى سلطة الماضي الذي هو التراث هذا ما جعلها تبتعد عن العلم.

"والذي أزعجه عن حياتنا الثقافية اليوم، هو أن هذا الجانب الفكري منها الذي لا هو إبداع أدبي ولا فني ولا هو من زمرة العلوم ، قد ضعفت في نفوسنا خبرته...وقد مال الناس نحو رفض عصرهم هروبا من الماضي ليختاروا منه ركناً آمناً هادئاً".<sup>1</sup>

وهكذا اعتبر زكي نجيب محمود التراث إن صح القول قد فقد صلاحيته في عصرنا هذا واعتبر كذلك أن شعوبنا دراويش فهو يقول: "إن جماهيرنا دراويش بالوراثة، فإذا عقل بعضهم كان قيساً دخيلاً على طبع أصيل، ولا عجب أن تروج فيهم الخرافات والكرامات والخوارق بأسرع من رؤية البرق إن لمع".<sup>2</sup>

يرى زكي نجيب محمود أن هنالك عدة أسباب تجعلنا نعتبر التراث العربي الإسلامي، لم يعد صالحاً لاتخاذ كإداة لمعالجة المشاكل التي يعرفها الإنسان العربي المعاصر، كما لا يمكن لهذا التراث أن يكون الطريق الموصل للحضارة، وأول هذه الأسباب التي جعلت التراث يُرفض ويعتبر عديم الفائدة في نظر زكي نجيب محمود هو:

أولاً: أن العديد من المشكلات والمعضلات قد تغيرت، كما أن المشكلات الفكرية التي شغلت الأسلاف، لم تعد تهمنا في يومنا هذا، وفي عصرنا هذا، تلك المشاكل التي أخذت من الأسلاف الوقت الكثير، وحيزاً كبيراً من تفكيرهم، وهذا راجع كما أسلفنا الذكر إلى طبيعة العلاقة التي دارت عليها حياتهم، والتي تدور عليها حياتنا اليوم، هذا هو السبب الأول الذي جعل زكي نجيب محمود يرفض التراث.

ثانياً: يؤكد زكي نجيب محمود على أن التراث العربي الإسلامي، يحتوي على بعض المسائل التي كانت تطرح بأهمية بالغة، ولم تعد تعرف تلك الأهمية، ومن بين هذه المسائل

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "بذور جذور"، ص 122.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 163.

"مسألة خلق القرآن" و"صفات الله"، وغيرها من المسائل التي كانت تشكل محور اهتمام الفرق الكلامية، لذلك يدعو زكي نجيب محمود إلى ترك مضمون مشكلات الأسلاف، لأن ذلك المضمون لن يفيدنا في شيء، وهو يقول في كتابه "تجديد الفكر العربي" مايلي:

"لننظر إلى حياتنا اليوم وما تواجهنا من مشكلات أساسية، لم يعد يصلح لنا ما ورثناه من قيم مبنوثة في تراثنا، السبب بسيط، هو أنها لم تكن هي نفسها المشكلات التي صادفت أسلافنا"<sup>1</sup>.

ثالثاً: لا يخفى على أحد أنه في تراثنا الفكري الكثير من أقوال وأفكار المتصوفة، هؤلاء الذين يرون أن العلم يكون عن طريق اللاوعي وهذا ما يرفضه زكي نجيب محمود، وهذا بالتحديد ما يجعله يرفض هذا الجانب من التراث.

كما أن أسلافنا من المتصوفة قد اهتموا كثيراً بمسألة الأولياء والكرامات إلى جانب اهتمامهم بفكرة الموازة بين الأولياء والأنبياء، غير أن مثل هذه الأفكار لم نعد بحاجة إليها في يومنا هذا "واضح لي أن هذا الجهد الفكري كله من أوله لآخره، مهما تكن أهميته، وخطورته بالنسبة لأسلافنا، فلم نعد بحاجة إليه اليوم، إلا في حدود المشوقين إلى دراسة التاريخ"<sup>2</sup>.

كما يقول أيضاً: "إن من حق من شاء أن يستمتع بقراءة هذا الصنف من الكلام وهو في تراثنا كثير، لكن ليعلم أن الدنيا لن تتقدم به قيد أصبع واحدة"<sup>3</sup>.

إن هذا سبب آخر جعل زكي نجيب محمود يرفض التراث، فأقوال المتصوفة لا تدعو إلى العلم بالمعنى التجريبي له، بل تدعو إلى العلم بمعنى المكاشفة، ولهذا وجب علينا أن نتجاوز هذا الجانب من التراث على حد قول زكي نجيب محمود، لأنه لن يكون طريقاً للتقدم بقدر ما يكون عامل على بقائنا متخلفين، "وعقيدتي هي أن تراثنا العربي...فيه عوامل أخرى تعمل فينا كأشبع ما يستطيع فعله كل ما في الدنيا من أغلال وأصفاد، وإنه لمن العبث أن يرجوا العرب

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص73.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"، ص408.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص430.

المعاصرين لأنفسهم نهوضاً أو ما يشبه النهوض قبل أن يفكوا عن عقولهم تلك القيود، لتنتلق نشيطة نحو ما هي ساعية لبلوغه".<sup>1</sup>

رابعاً: إن التراث العربي يحمل في طياته الكثير من السحر، وهكذا يرى زكي نجيب محمود إذ يقول: "ولقد تجد في تراثنا أحاديث عن السحر والتعزيم، الرقى والتمايم...ألوف الصفحات مبعثرة هنا وهناك، في أنفس ما خلفه الآباء من ميراث ثقافي".<sup>2</sup>

يقدم زكي نجيب محمود عدة أمثلة حتى يبين لنا كيف حتى أن التراث الفكري العربي احتوى على العديد من الأفكار اللامعقولة كما يسميها.

ويعطي لنا "إخوان الصفا" كنموذج لذلك، فهم وعلى الرغم من أنهم يمثلون النخبة المثقفة آنذاك، إلا أن كتبهم حملت في طياتها مثل هذه الأفكار - أفكار عن السحر "فإذا وجدنا صفوة الصفوة هؤلاء، برغم نزوعهم القوي نحو التفكير العلمي يختمون رسائلهم، برسالة يخصصونها " ماهية السحر والعزائم والعين"، لا ليحيطوا الموضوع بما يثير الريبة، بل ليحيطوه بما يؤيد كل ما يقال عنه من قوة وتأثير، أقول إذا وجدنا تلك الصفوة الممتازة من المثقفين تقف هذه الوقفة من موضوع السحر وفروعه، علمنا أن المسألة لم تكن عند القوم موضوعاً للسؤال، وهذا هو مصدر خوفنا من هذا الجانب من التراث المأثور عن أسلافنا".<sup>3</sup>

إن مثل هذه الأفكار التي احتواها تراثنا قد ساعدت على انتشار الأفكار الخرافية في نظر زكي نجيب محمود، ولهذا كان علينا رفض التراث برمته، وربما كان هذا سبباً كافياً لقطع الصلة نهائياً مع التراث وما يحمله من أفكار بعيدة عما يقبله العقل والعلم.

خامساً: يرى زكي نجيب محمود الوضع المنطقي، بأنه علينا بالتحول من تلك الثقافة المبنية على تقديس اللغة، وأي لغة إنها اللغة التي لا يربطها بالواقع المحسوس شيء، لأن

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 26.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"، ص 438.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 439.

العصر الذي نعيش فيه هو عصر العلم والصناعة، وعلى المجتمع العربي التخلي عن تلك اللغة، التي تربط كلام بكلام آخر، والإتجاه إلى اللغة العلمية.

وهو يرى أنه لن يقوم مقام للأمة العربية الإسلامية، إلا إذا قامت بمراجعة هته الأداة التي نستعملها للتعبير بها عن أفكارنا وانشغالاتنا، وهذا إلى جانب مسائل أخرى تساعد على نهوض هذه الأمة، ولذلك فهو يقول: " لست أتصور لأمة من الأمم ثورة فكرية كاسحة، وطرائق استخدامها لأن اللغة هي الفكر، ومحال أن يتغير هذا بتغير تلك".<sup>1</sup>

يرى زكي نجيب محمود أن الحياة الفكرية في الأمة العربية الإسلامية تعاني من فقر شديد في الإبداع الثقافي والفكري، وهذا الفقر راجع إلى الطريقة الغامضة التي تستخدم بها اللغة، وهذا القصور في استخدام اللغة لا يقتصر على عامة الناس فقط، بل تجاوزهم إلى النخبة المثقفة من رجال العلم والفكر والثقافة، فهم كذلك لا يحسنون استخدام اللغة، من وجهة نظري. وأول شيء يركز ويؤكد عليه زكي نجيب محمود، في هذا السبب الذي جعله يرفض التراث هو ضرورة أن يكون الفكر واضحاً فهو يقول في هذا الصدد: "الفرق بين الفكرة الواضحة، والفكرة حين يلفها الغموض هو أشبه بالفرق رحالة في حوزته خريطة واضحة التفاصيل...يستطيع من خلالها الوصول إلى غايته، ورحالة آخر ما في حوزته ورقة، خطت عليها مجموعة مختلطة من الخطوط، فيضل طريقه".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 205.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "حصاد السنين"، ص 291.

المبحث الثاني: التجديد في فكر زكي نجيب محمود:

المطلب الأول: الوضعية المنطقية في الفكر الغربي

ظهرت مدرسة الوضعية المنطقية من حلقة بحث كان يقودها موريتز شليك\* (1882-1936 M.schlick) وخرجت إلى الضوء فجأة في عام 1929م تحت إسم "حلقة فينا" مع ظهور كتيب لها يعرض برنامجها بعنوان "النظرة العلمية إلى العالم" ثم بدأت "مجلة المعرفة" في الصدور في العالم التالي 1930م وحلت محلها عام 1930م "مجلة العلم الموحد".

قد أطلق إسم "الوضعية المنطقية" عام 1931م على الحركة الفلسفية الصادرة عن "جامعة فينا"، وانتشر هذا الإسم حسب فؤاد كامل في كتابه "أعلام الفكر الفلسفي المعاصر" حتى بعد إنحلال جماعة فينا وتشتت أعضائها ليست فيما بعد في حركة فلسفية أخرى أوسع نطاقاً وهي الحركة التجريبية المنطقية، حيث يوجد سمات مشتركة بين منطقتي الوضعية ومنطقة التجريبيين وتتمثل فيمايلي :

أولاً: إعتناق نزعة تجريبية متطرفة تأيدها مصادر المنطق الرياضي الحديث، ويحقق إحترام من الممكن أن يكون مبالغة فيه لمآثر العلم الحديث وقدراته.

ثانياً: رفض كلي للميتافيزيقا على أسس منطقية لا على أنها زائفة أو لا جدوى منها فحسب بل على أنها خالية من المعنى.

ثالثاً: تطبيق نطاق الفلسفة بحيث تقتصر مهمتها على إلغاء مشكلاتها الخاصة عن طريق توضيح اللغة المستعملة.

رابعاً: تحليل مصطلح العلوم وتوحيده بإرجاعه إلى مصدر مشترك في لغة الفيزياء.<sup>1</sup>

\* موريتز شليك: فيلسوف فزيائي ألماني 1882-1936، اشتهر مؤسساً لجماعة فينا، وأحد قادة الوضعية المنطقية.  
<sup>1</sup> فؤاد كامل، أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993م، ص128.

تعتبر المدرسة الوضعية "**néopositivisme**" هي الوحدة التي تمثل الإتجاه التجريبي تمثيلاً حقيقياً في القرن العشرين في الفكر الغربي وتعود أصولها إلى المذهب الوضعي التقليدي "**positivisme classique**" عند أوغست كونت (A.CONTE)\* وعند جون ستيوارت ميل (j.s.mill)\*\* ومن قبلها إلى المدرسة التجريبية الإنجليزية في القرن الثامن عشر ميلادي

أما مصدرها المباشر يعود إلى جوزيف بتزولت (1862-1929) المدرسة التجريبية النقدية الألمانية وهو أحد تلاميذ أفيناريوس وهو الذي نقل إلى هذه المدرسة رئاسة المجلة السنوي للفلسفة والتي خرجت منها من بعد ذلك مجلة المعرفة وهي أهم صحيفة تعبر عن الوضعية الجديدة ما بين عامي (1930-1938) كما أنتهناك تيارات أو إتجاهات أخرى ساهمت في الوضعية الجديدة.<sup>1</sup> لذا فالحديث بوجه عام عن النزعة الإخبارية المنطقية بإتجاهاتها الرئيسية الثالثة هو حديث عن النزعة الذرية المنطقية والتي عرفت انتشاراً واسعاً في إنجلترا تحت إسم (جماعة كمبورج) بحيث بتزعمها "راسل"\*\*\*، ثم النزعة الوضعية المنطقية التي هي امتداد لحلقة فينا المنحدرة بدورها من نزعة ماخ\*\*\*\* الفيزيائية،<sup>2</sup> وفي عام 1895 عملت جماعة فينا على إيجاد مكان لفلسفة العلوم التجريبية من أجل تنمية هذا الفرع الفلسفي النامي حديثاً، وكانوا يفضلون أن يشغله عالم طبيعي ذو ميول فلسفية قوية، وعلى هذا الأساس نجد المدرسة الوضعية الحديثة ظهرت في صورة شديد التعلق بالعلم حيث ترى أن الفلسفة ماهي إلى تحليل للغة والعلم، وأن منهج الفلسفة منهج علمي صارم حيث ارتبطت النزعة الوضعية الجديدة مباشرة بماخ.

\*: أوغست كونت: فيلسوف وعالم إجتماعي فرنسي ويعتبر مؤسس الفلسفة الوضعية.

\*\* جون ستيوارت ميل: 1806-1873 فيلسوف وإقتصادي ألماني.

<sup>1</sup> بوسنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1992، ص81.

\*\*\* راسل: 1870-1970 رياضي وفيلسوف إبستمولوجي ورجل سياسة.

\*\*\*\* ماخ: 1838-1916 فزيائي وفيلسوف نمساوي

<sup>2</sup> سالم يفوت، "فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع"، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، الطبعة الأولى، 1986م، ص282.



وكما ذكرنا سابقاً الذي اشتق من الأصول الفلسفية لاسيما " دافيد هيوم" \*\*\*\* وعليه من منظور الذي انطلقت منه الوضعية المنطقية الجديدة نجد بأن طريق الإنسان الوحيدة للمعرفة هي حواسه الخمس، وأن التجربة هي المنبع الوحيد لكل ما يمكن أن يحصل عليه الإنسان من معارف ومعلومات من الواقع، وهذا هو سبب تسمية النزعة الوضعية الجديدة بالإختبارية.

فالوضعية المنطقية هي استمرار لدافيد هيوم مروراً بماخ والتقليد الإختباري الإنجليزي الذي يعتبر أنه يستحيل على الإنسان الإهتمام إلى الوصف الواقع انطلاقاً من استنباطات واستنتاجات عقلية أو أفكار قبلية، وأن ما يميز الإختبارية هو رفضها للميتافيزيقا إيماناً منها بأن كل قضية واقعية تقوم على التجربة الحسية، والمعرفة الإنسانية بكاملها ترد إلى مصدر حسي<sup>1</sup> ويضاف مع ذلك إلى هذه السمة التجريبية موقف تحليلي وعقلاني منطقي قاطع وصارم إلى حد كتابات الوضعيين جدد التي تبدوا وكأنها نوع من الفلسفة المدرسية الجديدة، لذلك فإن المدرسة الوضعية الحديثة سارت في طريق أبعد بكثير مما سارت إليه الواقعية الجديدة، ورغم هذا نجد أن المدرسة الوضعية الجديدة تطورت بعض الشيء وكان أصحابها يعتقدون في أولى مراحلها أن المنطق الجديد هو المبنى الأساسي والسلاح الحاسم ضد كل المدارس الفلسفية الأخرى، ولكنهم لم يستطيعوا أن يتفادوا من بعد ذلك دراسة المشكلات الفلسفية في نظرية المعرفة ولم يعودوا يعتمدون على المنطق الجديد وحده.<sup>2</sup>

ولذا يمكننا الإقرار بأن الحقائق الحسية هي الأشياء الوحيدة التي تؤكد وجودها إدراكنا الحسي لها، وعليه فإن الإستدلالات المنسقة أكثر على أي عنصر قبلي أو غير واقعي مثلما تبنت الميتافيزيقا، فتوقعاتنا وافتراضاتنا القائلة بأن المستقبل سيأتي على غرار ما شهدناه في الماضي لا يمكن أن تكون سوى توقعات وافتراضات لا تبرر إلا تبريراً اختيارياً وعلى هذا الأساس تعتبر الخبرة الحسية هي المصدر الوحيد الذي نستقي منه العلم بالواقع حسب ما ترد

\*\*\*\*: دافيد هيوم: 1711-1776 فيلسوف وإقتصادي ومؤرخ أسكتلندي، وشخصية مهمة في الفلسفة.

<sup>1</sup> سالم يفوت، "فلسفة العلم المعاصرة ومفهومها للواقع"، ص 110-111.

<sup>2</sup> بوسنسكي، "الفلسفة المعاصرة في أوروبا"، ص 83-84.

إليه الوضعية المنطقية عند هيوم لأن الوضعية المنطقية تسير في نفس الإتجاه الذي بلوره هيوم عندما ميزه بين القضايا التي تستمد من الواقع تقتضي ردها إلى أصلها الحسي التي صغت كقضية لصفة.

وإذا استقصينا الحديث عن الوضعيون الجدد الذين نجدهم يميزون بين نوعين من العلوم علوم واقعية وأخرى صورية وفي هذا يقسم "همبل" البحث العلمي إلى فرعين وهما: العلوم الإختبارية وغير الإختبارية، بحيث نجد بأن العلوم الإختبارية تسعى إلى وصف وكشف وتفسير أحداث العالم أو الواقع الذي نعيش بمقتضاه فهي بهذا المعنى تدنوا من القول أن صدق عباراتها يحتكم إلى التجربة ومعنى هذا أن صحة عباراتها يلزمها بدهة إختبارية أي أن الحصول على هذه الأخيرة يتم على أنحاء متفرقة كالتجريب والملاحظة المنهجية، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن ارتباط صدق العلوم الإختبارية بالواقع هو أن يميزها عن العلوم الإختبارية كالمنطق والرياضيات المجردة.

وإذا ما ذهبنا في الإتجاه الذي ذهب فيه "همبل" نجد "كرب" الذي يميز هو الآخر تمييزاً قاطعاً بين نوعين من العلوم ونوعين من القوانين، علوم صورية وأخرى إختبارية، قوانين صورية صدقها متعلق بها ولا تلجأ في تصديقها أو تكذيبها إلى التجربة، وقوانين إختبارية صدقها مرتبط بالواقع، ويمكن أن نسمي قوانين إختبارية وقوانين نظرية أهم تمييز الذي يمكن القيام به بين النوعين من القوانين العلمية، وبهذا فإن المعارف والمنطق والرياضيات هي معارف صورية تتعلق بالتفكير واللغة، أما معارف العلوم الواقعية تتعلق بأحداث العالم الواقعي وعلى هذا الأساس ذهب الوضعيون الجدد إلى أن هناك نوعين فقط من المعارف الصحيحة والمشروعة، معارف عقلية لغوية ومعارف واقعية تجريبية، بحيث تكون التحليلية صحيحة وذات معنى إذ لم يوجد تناقض داخلي بين حدودها فمعيار صدقها هو اتساقها المنطقي الداخلي، والقضية التركيبية تكون صادقة إذا كانت مطابقة لواقعه ما من وقائع العالم الخارجي أي مطابقة مباشرة

وقد قال "كرنب" \* REDOLF CARNAP (1891م-1970م) عن الميتافيزيقا: من السهل أن ندرك أن مثل هذه القضايا لا يمكن التحقق منها... لأننا لا نستطيع أن نستنبط أي قضية تقرر أي إدراكات حسية أو إحساسات... ومن ثم فهي لا تقرر شيء على الإطلاق.<sup>1</sup>

ومن خلال هذا نحاول إبراز النظرة المعممة لمختلف تصورات الوضعيين بحيث يمكننا القول بأن الوضعية لا تمثل اتجاه واحد، بل اتجاهات متباينة لذا فالعناصر المشتركة المكونة للإشكالية الوضعية هي كما يلي:

1. التركيز على التجارب والخبرات باعتبار أنها المصدر الوحيد لمعارفنا من الواقع.
2. نفي الضرورة واليقين عن القضايا الإختبارية والتجريبية التي تقوم عليها علوم الواقع لإستحالة الجمع بين الضرورة والتركيب.
3. الضرورة واليقين لا يجتمعان إلا في القضايا التحليلية التكرارية ومن ثم للتمييز بين نوعين من القضايا، قضايا تصور الواقع صدقها إحتمالي مرهون بالواقع وتبدلاته وصدق وقضايا لتصور الوقائع التكرارية، صدقها ضروري ويقيني غير مرهون بمكان معين ولا بزمان معين بمعنى لا يتعلق بظروف خارج الفكر.
4. قصر المعرفة المشروعة على هذين النوعين من القضايا وبالتالي على نوعين من العلوم يقومان على هذه القضايا، علوم واقعية إختبارية وأخرى صوري منطقية.
5. حصر الفلسفة في التحليل المنطقي للقضايا والعبارات خصوصاً منها قضايا وعبارات العلم.
6. رفض كل القضايا التي لا يمكن التأكد من صحتها أو التي لا يمكن تحقيقها.
7. كل قضايا العلم الإختباري فرضيات أو عبارات إحتتمالية وهذا جل القضايا التي تلتقي عندها مختلف التيارات الوضعية.

\* كرنب: 1891م-1970م، أهد أعلام الوضعية المنطقية.

<sup>1</sup> نقلاً عن السير التفادي، معيار الصدق والمعنى في العلوم الإنسانية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1991، ص 27.

## المطلب الثاني: الوضعية المنطقية عند زكي نجيب محمود.

مرّ زكي نجيب محمود بمراحل مختلفة أثناء تطوره عند إقامته بإنجلترا خلال الخمسينيات حيث امتاز فكره بالفكر الغربي، حيث دعا إلى الأخذ بثقافة الغرب وجعل من هذا الأخير هو "العصر" وصانع حضارة العصر الحديث،<sup>1</sup> وقد رأى زكي نجيب محمود أنه إذا ما أرادت الثقافة العربية النهوض يجب عليها الاعتماد على إمكانيات الغرب، والتي كانت تتميز بالنظرة العلمية وقد كان زكي نجيب محمود شديد التطرف في دعوته إلى الوقفة الفلسفية العلمية في كل ما كتبه سواءً كان في كتاباته الفلسفية عند الشرح والتوضيح، أو في كتاباته غير فلسفية كالنقد الأدبي حيث كان ينظر إليها بمنظار الوضعية المنطقية بكل دقة في الصياغة اللفظية بكل ما تتطلبه الوقفة الفلسفية اتجاه اللغة، كتابة وقراءة،<sup>2</sup> بإعتبار أن طابع العصر الفكري الذي كان يعيش فيه زكي نجيب محمود هو العلم التجريبي الذي نشأت منه الفلسفة الوضعية باتخاذها للعلم التجريبي مناهج للبحث والنظر، وجعل من الحواس أصل للصدق.<sup>3</sup>

لم تنحصر الوضعية المنطقية في حدود العالم الغربي بل أثارت اهتمام الباحثين والمشتغلين بالفلسفة في العالم الثالث ووجدت لها أنصار في الوطن العربي، من بينهم زكي نجيب محمود الذي يعتبر من أبرز ممثلي هذه المدرسة الفلسفية في الفكر العربي المعاصر من خلال إيمانه بمبادئها النظرية ومحاولة تطبيق هذه الفلسفة على الواقع الإجتماعي.

فقد جعل زكي نجيب محمود الوضعية المنطقية نبراساً هادياً محاولاً في هذا إعطاء الصياغة اللفظية لها من خلال تبيان معنى إلى اللفظتين وهي كلمة "الوضعية" فقد كانت قبل ذلك وحدها إسماً على مذهب فلسفي بلغ قيمة ازدهارها في فرنسا، وفي أواسط القرن التاسع عشر على فيلسوفهم "أوغست كونت" "A.COMTE" (1857م - 1798م) وخالصة دعوته هي أن النظرة العلمية الحديثة تقتضي أن تنحصر رؤية الباحث العلمي في حدود ما هو واقع<sup>4</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 62.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 92-93.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، ص 119.

<sup>4</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 93.

أي في حدود ما هو ظاهر لأعضاء الحس وأدوات التجربة حيث اعتبر " أوغست كونت " حسب زكي نجيب محمود أن الظواهر الطبيعية هي وحدها النظر العلمي باعتبار أن العوامل التي تعلق بها حدوث تلك الظواهر المأخوذة من التجربة البشرية أي داخل حدود ما هو واقع هذا فيما يخص معنى الوضعية، أما اللفظية يقصد بها "زكي نجيب محمود" أنه إذا ما وجدنا نظرة غامضة في الظواهر الطبيعية هذا وحده يكفي لمعرفة الصواب أو الخطأ فيما يقال على تلك الظواهر إستناداً للبناء اللفظي والإحتكام أيضاً إلى منطق اللّغة ودلالاتها الذي من خلالهما يمكن الحكم على العبارة أنها مقبولة لكونها ذات معنى يستحق البحث أو العبارة التي لا معنى لها، فهي عبارة مرفوضة وبالتالي فهي ليست جديرة بمراجعتها على الطبيعة، وعلى هذا الأساس يتبين أن الوضعية المنطقية ليست مذهباً بقدر ما هي منهج يرسم للباحث خطواته التي تضمن له السير السليم،<sup>1</sup> ما يصب في مجال التفكير العلمي، وقد جعل "زكي نجيب محمود" العقل والمنطق أداة العلم باتباع المنهج العلمي والمنطقي السليم من أجل فهم الظواهر الطبيعية والإقتصادية والإجتماعية من خلال محاولته نشر هذا الفكر والتأكيد على أهميته،<sup>2</sup> فقد أصبح العلم له السيادة في العصر الحديث وشملت النظرة العلمية للحياة الإنسانية في شتى جوانبها بعدما كانت الفلسفة قد لبثت خلال عصور طويلة خادمة للدين ولم يقتصر الأمر في الإعتماد على النتائج العلمية التي كان ينتهي إليها العلماء وما أدت إليه تلك النتائج من تغير في أوضاع الحياة، وإنما أصبح كل عامة الناس يعتمدون على العلم والعلماء، من أجل إيجاد الحلول لمشاكلهم المختلفة وولوج الناس إلى الدراسة العلمية، وقد كان هذا التحول ناتج عن تحول وجه الحياة ككل وذلك إثر الإنقلاب الصناعي ولواحقه، فبعدها كان الناس يعتمدون على الزراعة في الأرياف انتقلوا إلى المدن وأصبحوا صناعاً وزاد الإهتمام بالموارد الطبيعية وطرائق استغلالها واستخدامها، فكان لابد من تغيير أساسي شامل لأنظار الناس، مما انعكس على التغيير في مذاهب الفلسفة ومناهجها.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص92.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "نافذة على فلسفة العصر"، مقالات عن الفلسفة نشرت بمجلة العربي، كتاب العربي، 1996م، ص6-7.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "حياة الفكر في العالم الجديد"، مطابع الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1956م، ص112.

المواضيع التي تهتم بالوضعية المنطقية أو تحاول التركيز عليها حسب "زكي نجيب محمود" هو الواقع الحسي المباشر الذي يمثل مدى صحة الإختبارات ولهذا يرى "زكي نجيب محمود" أنه لا وجود موضوعي للكلي والعام بحيث إذا لم يكن للفظه مفيدة "رصيد" بين كائنات الدنيا الخارجية التي نراها بالعين ونلمسها بالأصابع وجب تغليفها على سبيل العبارة مجهولة الدلالة، فهي مركب ناقص لم يكتمل له كيان "الفكرة" التي يجوز قبولها أو رفضها فالقبول والرفض معاً مرهونان باكتمال الفكرة أولاً وحسب "زكي نجيب محمود" أن القبول والرفض معاً مرهونان بأن نضمن وجود أفراد فعلية مما تشير إليه الإسم المعين.<sup>1</sup>

لقد اهتم "زكي نجيب محمود" بهذا التيار عندما صرح في قوله: "ولما كان المذهب الوضعي هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمي كما يفهمه العلماء الذين يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم فقد أخذت به أخذ الواثق بصدق دعواه، وطفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات فأمحو منها ما يقتضي مبادئ المذهب أن أمحوه كالهرة التي أكلت بنيتها جعلت الميتافيزيقا أول صيدي جعلتها أول ما أنظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية لأجدها كلاماً فارغاً إلا يرتفع لأن يكون كذباً لأن ما يصف بالكذب كلام يتصوره العقل، ولكن تدحضه التجربة أما هذه فكلاهما كله هو من قبيل قولنا الصفحات بغير مدلول وإنما يحتاج الأمر إلى تحليل منطقي ليكشف عن هذه الحقيقة فيها".<sup>2</sup>

إذن مهمة الوضعية المنطقية "عند زكي نجيب محمود" هي: "توضيح المفاهيم التي تقع عند الناس بين الجهل التام والعلم التام، بمعنى أنها مفاهيم يتداولها الناس وهم على البعض العلم بها، فلا هم يجهلون بها كل الجهل ولا هم يعلمونها كل العلم، فتتناولها الفلسفة بالتحليل والتوضيح لعلها تبلغ من معانيها مبلغ التحديد الدقيق الحاسم... وها هنا يكون عمل الفلسفة أن تدنوا بنا من تلك المفاهيم لنراها في تفصيلاتها ودقائقها".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "حياة الفكر في العالم الجديد"، مطابع الشروق، بيروت، الطبعة الأولى، 1956م، ص 136-137.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، ص 160-161.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "في حياتنا العقلية"، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1999م، ص 65.

يتبين من خلال هذا بأنه لابد من تحليل المفاهيم التي يستعملها الناس سواءً كانوا على علم بها أو يجهلون بها وذلك باستخدام تقنيات لغوية ومنطقية، وبذلك نستطيع اكتشاف المفاهيم الدقيقة والمفاهيم التي تعد مجرد "أخلاق من رموز لا تدل على شيء، فإذا استوجبت منا شيئاً فهو حذفها من قائمة الكلام المقبول.<sup>1</sup>

وقد قامت الفلسفة الوضعية عند "زكي نجيب محمود" على أساس المنطق الوضعي وكانت هذه الأفكار امتداد للوضعية المنطقية الغربية.<sup>2</sup>

ولقد كان "زكي نجيب محمود" يرفض كل ما هو ميتافيزيقي لما رأى فيه من كلام فارغ لا معنى له معتمداً في ذلك على الوضعية المنطقية وكل ما هو مرتبط بالعلم والتحليل للوصول إلى الحقيقة كما ذهب "زكي نجيب محمود" في مرحلة من مراحل تطوره الفكري إلى ضرورة بتر التراث بترّاً من أجل استرجاع الأمل في عيش حياة فكرية معاصرة، ومعاصرون لروح العلم.<sup>3</sup>

وعلى هذا الأساس يتبين موقف "زكي نجيب محمود" من الميتافيزيقا فبعدما كانت له نظرة ميتافيزيقية في شبابه عندما تحدث عن النفس في رسالته "الجبر الذاتي" إلا أن نظريته تغيرت عند تبنيه للفلسفة الوضعية والتي كانت امتداد للوضعية المنطقية الغربية، وهذا ما نلتمسه في كتابه "موقف من الميتافيزيقا".

ولقد رفض "زكي نجيب محمود" جميع موضوعات الميتافيزيقا لأن قضاياها ليست ذات معنى لعدم وجود ما يقابلها بالخارج، فقد رأى "أسامة علي حسن موسى" في كتابه "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود" بأن الوضعية المنطقية بشكل عام ترى أن المعرفة تقتصر على ما تم إدراكه إدراكاً حسيّاً مباشراً، أي ما يتعلق بالمعرفة العلمية بالمفهوم

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، ص3.

<sup>2</sup> أسامة علي حسن موسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ط1، 1997 ص91.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص13.

الوضعي المنطقي<sup>1</sup> "ولكي يميز العبارات تستخدم في مجال العلم أو المعرفة الضرورية العامة سواءً كانت طبيعية وتركيبية تقوم أو يمكن أن تقوم على التحقق من صدقها بالتجربة، أو رياضية ومنطقية تحليلية تعتمد على صحة الاستنباط من المقدمات وفق قواعد محكمة ومتفق عليها، وعبارات أخرى تتعلق بالوجدان أو فارغة من الإثارة إلى مدلول حسي، ومن ثم فليست صادقة ولا كاذبة كالعبارات المستخدمة في مجال الأخلاق والدين والميتافيزيقا والأدب".<sup>2</sup>

حسب "زكي نجيب محمود" أنّ المشكلات الفلسفية المزعومة جاءت عن طريق الإستعمال الغير صحيح للألفاظ والعبارات من طرف الفلاسفة، والتي أدت على ظهور عبارات ليست لها معنى ومفهوم فالميتافيزيقا المرفوضة هي مجموعة العبارات التي تتحدث عن كائنات لا تقع تحت الحس.<sup>3</sup> ومن هنا يتبين لنا وفق ما قاله "زكي نجيب محمود" بأن نتخلى عن كل ما لا يقع تحت الحس من العبارات التي ليس لها معنى، ولا مفهوم بذلك تتبني ضمن الميتافيزيقا المرفوضة باعتبار أن هذه الأخيرة هي مجموعة العبارات التي تتكلم عن كائنات لا تنطوي تحت ميدان الحس وعليه فإن المقصد الرئيسي لهذا المضمون هو التخلي عن كل ما لا يقع تحت الحس، بحيث رأى "زكي نجيب محمود" أن الميتافيزيقا "مستحيلة لأن فيها اجتماع نقيضين أحدهما أنني قبلت هذه الخبرة على أساس أنها يمكن أن توصف بالصدق أو الكذب (لأن ذلك هو تعريف القضية) والنقيض الآخر هو أنّ هذه الحملة يمكن أن تجد وسيلة لتصديقها أو تكذيبها".<sup>4</sup>

وإذا ما أردنا تبسيط هذه العبارة نقول بأن "زكي نجيب محمود" يسلم باستحالة المنطقية للميتافيزيقا من منظور أنها تحتوي على نقيضين ويوضح ذلك في قبول الجملة الخبرية يكون على أساسها التصديق أو التكذيب، أما في ما يخص النقيض الآخر الذي رآه "زكي نجيب

<sup>1</sup> أسامة علي حسن الموسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص 92.

<sup>2</sup> عبد الغفار المكاوي، في الذكرى الثالثة لرحيل زكي نجيب محمود، مجلة نزوى، العدد 8، مؤسسة عمان للصحافة، جوان 2009.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، ص 3.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 91-92.



محمود" في مبنى استحالة الميتافيزيقا هو أن الجملة لا يمكن أن نجد وسيلة لتصديقها أو تكذيبها، ولم يكتفي "زكي نجيب محمود" بجعل الميتافيزيقا ليست لها معنى فقط،<sup>1</sup> وإنما كان هدفه الأساسي هو حذفه للميتافيزيقا وحدّد هذا في قوله: "معنى العبارة هو نفسه طريقة تحقيقها فإذا لم نجد لتحقيقها طريقة كانت عبارة بغير معنى، فهذا التناقض مبدؤنا الذي نحذف على أساسه العبارات الميتافيزيقية كلها لأننا نلتزم طريقة لتحقيق هذه العبارات فلا نجد".<sup>2</sup> ويضيف قائلاً: "والميتافيزيقا على رأس هذه الأنظمة الفكرية التي قوامها عبث ووهم، والتي مصيرها إلى زوال محتوم، إذا ما مكن للوضعية المنطقية من الذبوع".<sup>3</sup>

ولأن الكلام الميتافيزيقي فارغ لا يحمل معنى، "فتعريف الجملة الميتافيزيقية هو أنها عبارة يراد بها أن تعبر عن قضية حقيقية لكنها في حقيقة أمرها لا هي بمعبرة عن تحصيل حاصل ولا عن فرض تحققه التجربة ولما كانت تحصيلات الحاصل والفروض التجريبية تستنفذ كافة القضايا ذات معنى، كما لنا ما يبرر التأكيد بأن ما تقوله الميتافيزيقا خال من المعنى".<sup>4</sup>

فالميتافيزيقا هي مجرد كلام فارغ لا يبين صورة، ولا يعطي أي معنى، وبالتالي لا يجوز فيها البحث واختلاف الرأي، وقد رأى "زكي نجيب محمود" أنه إذا ما أردنا البحث عن كلام له معنى يجب الابتعاد كل البعد عن الفلسفة التأملية التي تعتبر هذه الأخيرة أحد أبحاث الميتافيزيقا بل ويجب الابتعاد عن كل تفكي متعلق بها، وإبقاء في دائرة العلم سوى العلوم الطبيعية والرياضية.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، ص 92.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "نحو فلسفة علمية"، مكتبة أنجلو المصرية، مصر، الطبعة الثانية، 1980م، ص 274.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، ص 160.

<sup>4</sup> زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، ص 81.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ص 3.

## المبحث الثالث: الموقف التوفيقى لزكي نجيب محمود بين التراث و التجديد

بعدما كانت الثقافة الغربية عند زكي نجيب محمود محل الإعجاب والتقدير التي أنبتت تحت الطابع العلمي الذي يأخذ من صدق الحواس أصل لا يناقش فيه، حيث كان العلم التجريبي هو الحل الأوحده حسب زكي نجيب محمود، والأخذ بهذا العلم والفلسفة التي تلازمه وتشكل عماد رؤيته للوجود، أي الفلسفة الوضعية التي اعتبروها اتجاه حياة لا مجرد نظرية إستمولوجية بحيث كان يرى زكي نجيب محمود ضرورة الأخذ بالحضارة الغربية لمسيرة العصر الحضاري في نشاطه الفكري،<sup>1</sup> فقد كان طابع العصر الفكري هو أن " العلم التجريبي وما سيتبعه من مناهج البحث والنظر الفلسفة التي نشأت من ذلك الإتجاه العلمي هي الفلسفة التي جرى الإصطلاح أن يسميها الفلسفة الوضعية".<sup>2</sup> التي اعتبرت ميزة فكر زكي نجيب محمود والتي ركزت على تحليل القضايا وفلسفة العلوم، وفي الوقت نفسه يستند بالفلسفة التحليلية المعاصرة نراه يتراجع عن هذا الموقف في كتابه " تجديد الفكر العربي "معتبراً إنشغال أبناء الأمة العربية بالفلسفة مستغنين في ذلك عن التيارات الأوروبية والأمريكية، فبعد ما كان زكي نجيب محمود يدعوا إلى بتر التراث بترأ أصبح ينادي بضرورة دراسة الفلسفة والفكر العربي والإسلامي من أجل تحقيق طابع عربي متميز الأصل مختلف عن الفكر الغربي.<sup>3</sup>

المطلب الأول: عودة زكي نجيب محمود إلى التراث.

## 1/ أسباب إنتقال زكي نجيب محمود من الفكر الغربي إلى الفكر العربي الإسلامي.

لقد أراد زكي نجيب محمود جعل الفلسفة الوضعية من خلال نشره لفلسفة الوضعية المنطقية في مواضيع متعددة من كتاباته بحيث أراد بذلك الوصول إلى فلسفة علمية.\* إلا أن هذه الأخيرة لم تجد رواجاً عند الكثير من المفكرين الذين لا يتأثرون سريعاً بالأفكار الجديدة، إلا

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص75.

<sup>2</sup> السيد ولد أباه، "أعلام الفكر العربي"، ص54.

<sup>3</sup> أسامة علي حسن الموسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص268.

\*: فلسفة علمية: أراد زكي نجيب محمود، من خلالها تطبيق معيار الوضوح لجعل الفلسفة تحليلاً لقضايا العلم.

بعد تحليلها وتمحيصها جيداً، وقد أثر هذا الأمر في زكي نجيب محمود فاستشعر بنوع من الضيق والضجر مما دفع به الأمر إلى تدوين فلسفة علمية والدعوة إلى الوضعية المنطقية والفلسفة العلمية لكنه لم يدعم من طرف الآخرين، فقد كان في الميدان تقريباً وحيداً بغير سامع ويكتب لغير قارئ. وهكذا قام زكي نجيب محمود بتغيير أفكاره التي أخذها من الغرب أثناء إقامته في لندن، وبعدها أراد لها الانتشار في العالم العربي،<sup>1</sup> حيث كان منصباً على الفكر المنطقي الوضعي البحث ونلاحظ حدوث تطور وتحول في فكر زكي نجيب محمود فانتقل إلى الإهتمام بالثقافة العربية بعدما استشعر بإهمال الوضعية لبعض جوانب الفكر الإنساني فتغير فكره اتجاه هذه الأخيرة بعدما حذف كل ما لا يخضع لمعيار التفكير العلمي التجريبي عند استخدامه لهذا المنهج، فقد ذكر أنه يريد تطبيقه في المجال العلمي فقط أبعد عن المجال الديني بل ورأى استحالة في هذا المجال.<sup>2</sup>

ولقد رأى فؤاد زكريا أنه من العوامل الأساسية في تحول فكر زكي نجيب محمود هي الأزمة التي مست العقل العربي بعد نكسة (1967م) فراح يبحث عن طريق يسلكه بين تاريخ الأجداد العريق والحضارة العربية المعاصرة، كما قدم الدكتور حسن الحنفي (1935م) ثلاث افتراضات تفسر هذا التحول في أوائل السبعينات.

**الأول:** الانتقال من جامعة القاهرة إلى جامعة الكويت في سبتمبر (1968م) أين وجد في هذه الأخيرة مكتبة ذات وزن ثقيل بالمؤلفات التراثية، مما جعله يعيش وسط تراث جديد بالنسبة له، لم يكن ليكتشفه من قبل، ولم يتعود التعامل معه مما حفزه على قراءته ودراسته.

**الثاني:** إن هذا الانتقال إلى المرحلة الثالثة قد حدث لكثير من المفكرين بعد هزيمة (1967م)

<sup>1</sup> ماهر عبد القادر محمد علي، "خرافة الوضعية المنطقية"، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1994م، ص 47

<sup>2</sup> أسامة علي حسن الموسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص 150.

الثالث: هو أن زكي نجيب محمود بعدما كان له اطلاع واسع على الفكر الغربي عامة والفكر العربي والتراث الوطني (المصري).<sup>1</sup>

ولكن بحكم ما ذكرناه سابقاً أن زكي نجيب محمود كانت لديه معرفة تراثية لا يستهان بها لذلك نجد أن حسن حنفي في هذا الصدد يعتمد على خلفية إيديولوجية في نقده لزكي نجيب محمود بدليل أن هذا الأخير قبل رحلته إلى إنجلترا واطلاعه على الوضعية المنطقية قام بشرح رائع لعينية ابن سينا كما تكلم أيضاً على المعتزلة.

لقد تكونت لزكي نجيب محمود رغبة شديدة في أواخر الستينات من أجل اكتساب معرفة مفصلة في الثقافة العربية إبان القرون الخمس الأولى بعد ظهور الإسلام، عندما شعر بنقص وتشتت في مكتسباته القبلية عن الثقافة العربية حيث يقول في هذا الصدد "إنني كنت إلى ذلك الحين قد خزنت في نفسي أكداً من الحقائق عن الثقافة العربية إبان تلك القرون الخمسة التي أردت دراستها، لكن تلك الحقائق كانت عندي بغير تاريخ يربطها في سيرة متصلة المراحل لتصبح حياة لها دوافعها وأهدافها فاستدنت بي الرغبة في أن أتصرف بمعظم جهدي بضع سنوات نحو الدراسة المنشودة لعلني أكون النقص الذي أحسست به في معرفة التراث".<sup>2</sup>

وقد كانت جامعة الكويت التي كان يعمل فيها زكي نجيب محمود أستاذاً في كلية الآداب في السبعينات المنفذ الأول من أجل الوصول إلى هدف ما كان ينقصه في التراث لما يحتويه من أصول مراجع ثقيلة الوزن، وهناك أخذ بجمع النصوص التي يراها دالة على روح الثقافة العربية أثناء ازدهار العقل العربي، وأصالة مبدعاته بعد نزول الإسلام.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام، "رحلة في فكر زكي نجيب محمود"، ص 62.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 200.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 200.

أما الأسباب الأخرى التي دعت زكي نجيب محمود إلى تغيير موقفه بعدما كان يدعو إلى ترك التراث وهي تأثره "بالحركة القومية"\* وهذا ما قد صرح به في قوله " تغيرت وفتي مع تطور الحركة الوطنية فما دام عدونا الألد هو نفسه صاحب الحضارة التي توصف بأنها معاصرة فلا مناص عن نبذه ونبذها معاً، وأخذت أنظر نظرة التعاطف مع الداعين إلى طابع ثقافي عربي خالص".<sup>1</sup>

## 2/ رحلة إكتشاف زكي نجيب محمود للتراث:

قبل أن نبين رحلة إكتشاف زكي نجيب محمود للتراث، يجدر بنا أولاً أن نوضح مفهومه له فقد اختلفت الرؤى حول مفهوم التراث: قد يكون عبارة عن حياة ماضية لمجتمع بما تحتويه هذه الحياة من عناصر ثقافية واجتماعية وسياسية واقتصادية وفكرية فقط، وقد ينظر إليه بوصفه عقيدة لا غير<sup>2</sup>، كما يرى زكي نجيب محمود أن التراث يوصفه مرة فكرة وثقافة ومرة يصفه عقيدة فقط وهو في هذا يراه قائماً على أساس النظرة الثنائية للوجود حيث يقول في كتابه " ثقافتنا في مواجهة العصر " : " ونعود إلى الهيكل السوري الذي أشرنا عليه في أول هذا المقال زاعمين أنه بين قوائم الثقافة العربية الأصيلة، فقد كان أهم ما ذكرته عندئذٍ مقابلة بين مطلق وعالم الحوادث وما لم تكن وقفة المثقف العربي مها يكن ميدانه وقفة تجمع بين هذين الطرفين لا من حيث يكون المطلق استخلاصاً في عالم الحوادث الجزئية بل من حيث هو موجود واجب الوجود يفرض نفسه على مجرى الأحداث فمثل ذلك المثقف لا يثير الصلة بينه وبين الأصالة بالمعنى الذي يرد الأصالة إلى الأصول الأولى".<sup>3</sup> ومن خلال هذا يتبين أن زكي نجيب محمود اعتبر أن العقيدة من أهم دعائم الثقافة العربية أو التراث العربي من منظور أنها ترتكز على مفهوم المطلق الواجب الوجود المفروض إيماناً بوجود عالم غيب وراء عالم

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 85

\*: الحركة القومية: تدعو هذه الحركة إلى الرابطة الإسلامية والخلافة العربية، وأبرز من يمثلها عبد الرحمان الكواكبي في كتابه "طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد"، مجلة الدراسات التاريخية الحضارية، مقالة إتجاهات حركة النهضة العربية الحديثة.

<sup>2</sup> أسامة علي حسن الموسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص 155.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص 87.

الشهادة على حد تعبير زكي نجيب محمود وعلى هذا الأساس فالعقيدة تعتبر صلب تراثنا الإسلامي كما يرى أيضاً منهج التفكير المنطقي والعلمي جزءاً من التراث الإسلامي.<sup>1</sup>

لقد انصرف زكي نجيب محمود إلى القول بأن ما يميز تراثنا هو مجموعة القيم القادرة على حياة مثلى يكون فيها العمل والأمل وهي منظومة من القيم لم تعرف بها أمة كما عرفنا ومن ثم فهي التي يمكن أن تمدنا بالطابع الفريد الذي يحقق لنا الأصالة.<sup>2</sup> فمن أهم ما يميز تراثنا الإسلامي هو مجموعة القيم المنبثقة فيه وخصوصاً القيم الأخلاقية المطلقة، لذلك فهو يرى أن خاصية الحضارة الإسلامية هي تمحورها حول الأخلاق فبناء الحضارة الإسلامية ركيزتها الأخلاق ويضيف إلى ذلك بقوله " كانت الأخلاق هي أعمق الأسس التي بنيت عليها حضارة الإسلام وعلى هذا الضوء نفهم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق".<sup>3</sup>

بيدوا أن زكي نجيب محمود وإن كان قد اطلع اطلاعاً واسعاً على الثقافة الغربية وبدى معجب بمقوماتها إلى أنه خلال تطوره الفكري اكتشف ميزة أخرى بحضارة إسلامية من سائر الحضارات هي أنها أدارت ريحها حول الأخلاق فإذا كانت حضارات أخرى قد أرست قواعدها في المقام الأول على الفن أو على العلم أو على غير ذلك من أسس كالزراعة والتجارة والصناعة، فإن الحضارة الإسلامية قد اختارت الأخلاق أسساً لها.<sup>4</sup>

لذا يرى أيضاً زكي نجيب محمود أن هذه القيم هي ما يمتاز به تراثنا الإسلامي وهي التي إذا ما تمسكنا بها سنتنشلنا من وضعنا الراهن بعد إضافة تغييرات ومفاهيم معاصرة عليها، ومن بين هذه القيم التواصل وخصوصاً بين رجال الفكر.

<sup>1</sup> أسامة علي حسن الموسى، " المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص 160.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، " ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص 89.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، " عن الحرية أتحدث"، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى، 1986م، ص 233.

<sup>4</sup> المصدر نفسه ص 232.

ولقد كان ما يلفت النظر في حياتنا الفكرية لأبائنا العرب الأقدمين تواصل قوي وثيق بين رجالها، حتى لتحسبهم في كل شريحة أسرة واحدة اجتمعت تحت سقف واحد فها هنا كتاب يصدر في موضوع معين فلا يلبث أن يرد عليه ناقد هناك، بل كان هؤلاء الرجال بالفعل ينتقلون ليلتقي أحدهم بأحدهم لقاءً حياً، فيتبادلون الرأي وكان جميعهم أساتذة يعملون في جامعة واحدة،<sup>1</sup> وعليه نجد زكي نجيب محمود أنه اصطنع منهجاً جديداً في دراسته مخالفاً للمنهج الوضعي المنطقي وهذا المنهج قائم على الموروث فهو يقول "ومتى تكون جملة الكلمات سلطان على الناس؟ أجبتك بقولي : أنظر إليها كم تحرك بها الناس نحو أن يغيروا ما بأنفسهم ليغير لهم الله ظروف معاشهم، فإذا وجدت الجملة قد وقعت بكلمات على صميم فقل عنها إنه قد كانت لأمر ما كهباء يسقط على الأجساد فلا تحسه الأجساد فالكلمات نتائجها".<sup>2</sup>

وعليه نجد أيضاً من القيم التي ناشدت التراث العربي لم تنحصر في الأخلاق فحسب إنما تجاوزت الواقع المعاش الذي يعطينا القيمة العملية التي من خلالها نواكب روح العصر ونجتاز واقعنا المتخلف من المنظور العلمي أو بالأحرى القيمة العملية التي ترفع حسب زكي نجيب محمود معنى الحياة وتعتبر العنصر الحاسم في التراث وقد يستند زكي نجيب محمود في هذا الصدد على محكم التنزيل فهو يقول أنه كلما ذكرت الآية يخاطب الله فيها المؤمنين أضاف إلى ذلك "و**عملوا الصالحات**" \* فكأن الإيمان لا يكون إيماناً كاملاً إلا إذا اقترنا بالعمل الصالح وصلاحيته العمل إنما تكون إلى الهدف المنشود إلى نوع الموقف الذي نواجهه ومعنى هذا أن العمل الصالح حسب زكي نجيب محمود يكون مرسى الإيمان الكامل لأن صلاحيته العمل تقتضي الهدف الذي نسعى للوصول إليه وإلى مقياس الموقف الذي نصادفه، كما يرى زكي نجيب محمود أن مجموعة القيم من خلالها يمكننا رسم حياة مثلى يكون فيها الأمل والعمل

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص 133.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 198.

\*: آية ذكرت في عدة سور من بينها سورة العصر الآية 3.

بمثابة الخطيين المتوازيين الذين يسران على جنب لأنها تمدنا بالطابع الفريد الذي يحقق لنا الأصالة.<sup>1</sup>

لقد وجد زكي نجيب محمود في التراث العربي ميزة أخرى وهي ميزة العقل حيث رأى بأن العربي القديم كان في نظرتة للعالم وما فيه يستند للعقل وحتى فقهاء اللغة العربية سعوا إلى إيجاد معاني تعتمد على العقل في تفسير أوضاع اللغة وقواعدها حتى ولو يوفقوا في الوصول إلى النتائج والأهداف المرجوة وإنما الأهم من ذلك يكمن في استعمال العربي للعقل كما أن المشكلات القديمة التي كانت تواجه العرب مثل مسألة الكبائر التي كانوا يرتكبونها لإيجاد حل لتفسير معطى هذه الكبائر وإن كانت كفرة أو يضلون عن إيمانهم بالرغم ما اقترفوه وقد احتكموا في هذا إلى استعمال العقل، وهذا ما نجده حسب زكي نجيب محمود في بعض الفرق الإسلامية التي استندت للعقل مثل "المعتزلة"\* وعلى رأسها واصل ابن عطاء الذي وقف موقف عقلي اتجاه هذه المسألة.

كما وقف أيضاً موقف وسط في حكمه على مرتكب الذنب واصفاً إياه بأنه ليس كافر كفرة مطلقاً ولا مؤمن مؤمناً كلياً لذلك رأى زكي نجيب محمود ضرورة اتباع أسلافنا من مبتغى وتوظيفهم للعقل توظيف يطرأ جميع الجوانب المعيشية والحياتية على العكس من ذلك رأى زكي نجيب محمود أن المصريين من العرب مالوا نوعاً ما عن طريق العقل وأحكامه واستندوا إلى الوجدان وميوله،<sup>2</sup> بحيث يتبين لنا أن زكي نجيب محمود قد أعجب بفكرة محمد إقبال التي أوردها في كتابه "التجديد في الفكر الإسلامي"<sup>3</sup> مفادها أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان لا بد أن يكون خاتم الأنبياء وأن تكون رسالة آخر الرسالات لأنه جاء من أجل العمل على إيجاد حلول للمشكلات التي يعترض لها الناس في مختلف المجالات وذلك وفق مقتضى عقلي وعليه فمدام أننا نسير وفق العقل لا نحتاج إلى إيجاد وسيلة أخرى، وقد استند زكي نجيب محمود في

<sup>1</sup> أسامة علي حسن الموسى "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص 161.  
\* المعتزلة: فرقة كلامية ظهرت في القرن الأول للهجرة وبداية القرن الثاني على يد واصل بن عطاء.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 325-328 بالتصرف.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 390.



هذا إلى مقولة الجاحظ عن العقل " أليس العقل هو وكيل الله عند الإنسان " <sup>1</sup> وأيضاً " إنما سميت العقل عقلاً كما يقول الجاحظ لأنه يزم اللسان ويحطمه عن أن يمضي فرطاً في سبيل الجهل والخطأ والمضرة كما يعقل البعير". <sup>2</sup>

وإذا ما أردنا أن نوضح هذا نجد أن العقل يعد المرسي الوحيد الذي يوجه أو بالأحرى يعصم الإنسان من الزلل، <sup>3</sup> وعلى هذا الأساس إذا حولنا السير في نفس الإتجاه الذي سار فيه أسلافنا لابد لنا أن ننظر إلى العالم نظرة يحكمها العقل في مختلف المشكلات التي تواجهنا.

### المطلب الثاني: التوفيق بين التراث والتجديد.

إن انتقال زكي نجيب محمود من الفكر الغربي عامة والوضعية المنطقية إلى التراث لا يعني هذا أنه تخلى عن الفكر الغربي كاملاً، وإنما أراد المزوجة بين هذا الأخير (الفكر الغربي) وبين التراث، حيث تعد هذه المرحلة في فكر زكي نجيب محمود هي مرحلة انتقال وتزواج بين الفكر الغربي والعربي وليست مرحلة إنهاء وتخلي عن الفكر الغربي.

تعد هذه المرحلة من أهم المراحل التي مر بها فكر زكي نجيب محمود باعتبارها نقلة اكتشاف ومحطة وصول لأن مسألة الجمع بين الموروث الثقافي الأصيل الذي يعتبر من المقومات الأولية التي أعطت الهوية للتاريخ العربي بصفة عامة والشعب العربي بصفة خاصة من منظور أن السير في هذا المقام يحتم على كل عربي تمجيد ماضيه الذي يجسد مبناه وبين الوجه الآخر للحياة التي أعطت لنا الشعلة لمسيرة زمننا من الناحية الفكرية والجسدية معاً نجد بأن الثقل الفكرية لزكي نجيب محمود في أواسط الستينات لم تكن بنفس الطريقة التي أحدثتها سابقاً عندما كان منغمساً في الثقافة الغربية، <sup>4</sup> كما يظهر ذلك من خلال كتاب "قصة عقل" ومن أجل توضيح ذلك نقول أن فكر زكي نجيب محمود تغير في نظرتة إلى الثقافة الغربية،

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، " تجديد الفكر العربي"، ص110، نقل عن رسالة المعاش والمعاد ج1 من رسائل الجاحظ، ص91.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، نقلاً عن رسالة كتمان السر وحفظ اللسان، ج1، من رسائل الجاحظ، ص141.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص310.

<sup>4</sup> زكي نجيب محمود، " قصة عقل"، ص222.

وبالأحرى الفكر الغربي حينما قال: "لم أكن في تلك الأعوام أفرق بين ما يجوز نقله عن الغرب وثقافته وما لا يجوز، فكل ما عندهم واجب النقل إلينا... أن نأكل كما يأكلون ونكتب من الشمال إلى اليمين كما يكتبون وأن ترتدي من الثياب ما يرتدون".<sup>1</sup>

وإذا ما أردنا توسيط الحديث عن زكي نجيب محمود في هذا الصدد نجد أنه اعترف بصريح العبارة أن نظراته للتراث كانت سلبية أراد إقصائه في هذا الصدد: "بدأت بتعصب شديد لإجابة تقول أنه لا أمل لحياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بتراً وعشنا مع من يعيشنا في عصرنا علماً وحضارة ووجهة نظر إلى الإنسان والعالم".<sup>2</sup> وعلى هذا الأساس يتبين لنا أن زكي نجيب محمود اعترف بمبالغته بدعوته بالتخلي عن التراث من أجل معاشة العصر، من منظور أن زكي نجيب محمود وازن النظر بين الأصيل المتجذر فينا وبين عصرنة واقعنا بحيث بحيث أعطى تشبيهه في هذا الصدد بقوله "إنه قد تكون لدينا أنوال قديمة لنسيج القماش فهل تحدث ثورة في صناعة النسيج، إذا نحن أبقينا عن الأنوال القديمة كما هي ثم زدنا من كمية القماش المنسوج وغيرها من ألوانه وزخارفه".<sup>3</sup> أي "خلق تركيبة عضوية تجمع بين التراث والحضارة العصرية".<sup>4</sup>

إن مسألة أو مشكلة الأصالة والمعاصرة عند زكي نجيب محمود هي الصيغة التي تجمع بين العقل والوجدان إذا ما أحدثنا ثورة فكرية حسب زكي نجيب محمود لا بد أن يتغير المحصول الناتج وأن تتغير الأوضاع والقوانين، بما يتناسب مع الأساس الجديد، فعندما كان يميل زكي نجيب محمود إلى التيار الغربي بحذافيره أدخل تصوراً جديداً عدل فيه نظرتة السابقة

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 73.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 13.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 23.

<sup>4</sup> أسامة حسن الموسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، ص 161.

ولا يرى في تغيير موقفه هذا عيباً إذ يقول " ليس في هذا التحول ما يعيب أحداً إلا من تشبث في رأيه حتى لو ظهر بطلانه".<sup>1</sup> والعقل\* والوجدان\*\* من منظور أن الجانب الوجداني حسب زكي نجيب محمود من أهم الجوانب الموجودة في الفطرة الإنسانية وحياته، فلا يجوز بأي حال من الأحوال إنكاره.<sup>2</sup> فإذا قسمنا هذه الفكرة (العقل والوجدان) على معادلة التراث عند تحليله بمثابة النسيج المتألق في الثقافة العربية التي تبدو ذات قابلية وسمة بارزة والتي يمكن لها أن تكون مصدراً متيناً لإقامة ثقافة عربية جديدة تحافظ على أصالتها وتواكب عصرنا في آن واحد.<sup>3</sup> كما يتضح ذلك جلياً في كتاب " قصة عقل " والذي ظهر بعد سفره إلى الكويت، لذلك يمكن اعتبار حصول التوفيق عند زكي نجيب محمود في سبعينيات القرن الماضي.

فإذا تفحصنا دفتر التراث نجد بأنه اجتمع طرفان العقل والوجدان معاً بحيث اجتمع تأمل المتصوف وتحليل العالم. وفي هذا الصدد يقول زكي نجيب محمود " إذا أجاز لنا أن نضع عنواناً وصفيّاً يلخص اتجاه الثقافة العربية في كل عصورها المنتجة قلنا أنها عقل في خدمة الوجدان ".<sup>4</sup> وما يعنيه زكي نجيب محمود هو الذي يطلب أن تقام البراهين على كل فكرة يتقدم بها صاحبها إلى الناس، وأما الوجدان فيقبل ما يقبل ويرفض ما يرفضه بلا برهان.<sup>5</sup> وإذا استرسلنا الحديث عن العقل والوجدان حسب ما يراه زكي نجيب محمود بأنه أراد أن يعجل من نفس العربي مزيج بينهما (العقل والوجدان) من منظور أن العربي صاحب علم وصاحب دين في آن واحد لأن العلم هو عقل والدين هو وجدان، وهذا الأمر يبين بذاته لا يحتاج إلى برهان لأن اللقاء بين هذين الجانبين لا يشترط أن يتم في فرد واحد بل يجب أن يتحقق لدى عامة الناس منهم من يتفرد بالتفكير العقلي وغيرهم أصحاب الحالات الوجدانية، وعلى هذا الأساس

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قيم من التراث"، دار الشروق، القاهرة، 2000م، ص167.  
 \*العقل: بوجه عام هو ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ، إبراهيم مذكور، الهيئة العامة للشؤون والمطابع الأميرية، القاهرة 1983م، ص120.  
 \*\*الوجدان: هو النفس وقواها الباطنية من جهة ما هي وسيلة لإدراك الحياة الداخلية "المعجم السابق نفسه، ص557".  
<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص175.  
<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص123.  
<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص182.  
<sup>5</sup> زكي نجيب محمود، "الشرق الفنان"، ص184.

إذا ما ازدوجت الرؤية بين العقل والوجدان في ثقافة واحدة يعني هذا الإزدواج المستويان متعاقبين الذين لا يكون بينهما صدام ولا تنافر، فقد يأتي الإدراك الوجداني المباشر ثم يأتي بعد ذلك إعمال منطق العقل الذي بمقتضاه جملة من الأهداف لإدراك الوجدان، وهذا ما يتضح في الثقافة العربية إذ يسلم المؤمن أولاً ثم عليه بعد ذلك أن يتناول بالتحليل العقلي ما آمن به.<sup>1</sup>

بين زكي نجيب محمود في كتابه " الشرق الفنان " أن هناك طرفان طرف يتمثل في الشرق الأقصى وطرف آخر يتمثل في الغرب. بالنسبة إلى الأولى تقوم على فكرة مؤداها أن ينظر الإنسان إلى الوجود نظرة حدسية (المعرفة المباشرة) وهذه النظرة هي نظرة الفنان الخالص أما الثاني (الغرب) هو أن ينظر الإنسان نظرة عقلية تحلل الظواهر وتقرن وتستدل وهذه نظرة العلم الخالص وقد وازن زكي نجيب محمود بين الطرفين واصفاً بذلك وسط يجمع بينهما ويتمثل هذا الوسط في الشرق الأوسط الذي يبين تاريخ ثقافتنا على المزوجة بين إيمان البصيرة ومشاهدة البصر. أي بين الدين والعلم،<sup>2</sup> يوضح زكي نجيب محمود في هذا الصدد أن علوم الطبيعة وإبداعات الفنون فالكل يجب أن يكون موقفنا إزاء هذا هو أن يتواصل مع العالم الحاضر في علومه وتتفرد بما هو وجدان قومي خاص لأن داخل هذا الوجداني الخاص ميزات أساسية متمثلة في عقيدتنا الدينية وبعض تقاليدنا الأسرية،<sup>3</sup> فقد كانت نظرة زكي نجيب محمود للتراث العربي الإسلامي نظرة شمولية بحيث جمع بين الدين والفن والتقاليد السابقة، كما تأثر بالخطاب الراشدي عندما أوضح مؤكداً أنه استلهم ابن رشد (1126-1198) التوفيقية في جل كتاباته التي حاول فيها فصل النزاع بين النقل والعقل وتحديد الثوابت الثقافية العربية ومتغيراتها.<sup>4</sup>

كما يرى زكي نجيب محمود أن هناك عدة عناصر يجب ربطها مع بعضها البعض لتمكن من حضارة عربية معاصرة والتي تقوم على ترجمة كل الإنتاج الإنساني إلى اللغة العربية مع

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 185-186.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "الشرق الفنان"، ص 89.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص 89.

<sup>4</sup> عصمة نصار، "الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي نجيب محمود"، دار العلم بالفيوم 2002م، ص 33.

الإحتفاظ بقواعد السلوك لأن ما يميز العصر هو العلم وجل تقنياته بحيث إن أنزلنا المضمون العلمي بمميزاته في ميدان من عندنا حصلنا على النتيجة التي نريد، أما الميدان الأول فهو اللغة المزوجة بالفكر العصري كما هو لكي نحصل على إنتاج عربي القسما والملاحم، أما فيما يخص الميدان الثاني فهو قواعد السلوك من حيث التشريع أي ما يتماشى مع قواعد ومقتضيات علوم العصر مع تشعبها.<sup>1</sup> إذ بعد رؤية زكي نجيب محمود بضرورة الأخذ بالمنهج الغربي العلمي والتجريبي، تغيرت نظرتة لهذا فقد راءاه أنه لا يكفي لأن نتيجة التحقق منه غير يقينية قد يتحقق لنا يوماً ما فيكون ضمن الذي دفعته في مقابل ذلك هو أنفسنا. كما أكد زكي نجيب محمود على حتمية المحافظة على الهوية العربية بصفة عامة وهويته المصرية بصفة خاصة،<sup>2</sup> لذلك رأى زكي نجيب محمود بوجوب تبني الفرد نظريتين (علمية وصوفية) على أساسها يقسم حياته إلى قسمين أحدهما ينصرف إلى دنياه والآخر يلتمس به الآخرة،<sup>3</sup> فهو بهذا يوازن موازنة بغاية الدقة والبراعة من وجهي الحياة، فالواقع المحسوس مجال ولما وراءه مجال آخر بحيث لا يتجاوز أحدها الآخر بل يسيران في خطوط متوازية، لذا يجب مراعاة التوازن بين النظرة للواقع حين ينبغي أن يحصر رؤيته فيه ثم النظر إلى ما وراءه باعتبار مهما عايشنا الواقع فيه من قيم رفيعة إلا أنها تبقى جزئية فانية وعبرة على عكس المطلق الأزلي الأخرى الذي لا يفنى.<sup>4</sup>

يتضح لنا من خلال هذا أن زكي نجيب محمود أصبح يبدي أهميته لجانب الأصالة ويحافظ على الهوية العربية الإسلامية بحيث حاول إيجاد ثنائية يجمع فيها بين الثقافة العربية والثقافة الغربية ومن شأن هذه الثنائية أن تفتح كما يقول زكي نجيب محمود " تفتح أمامنا أفاق مغلقة فهي تضع الإنسان على قدميه فوق الأرض وترفع رأسه إلى السماء أي أنها تتيح له الفرصة أن يعيش لهما معاً فعلى الأرض يسعى علماً وعملاً بكل ما يتطلبه العلم من

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "هذا العصر وثقافته"، ص8.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص225.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص230.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص231-232.

دقة وما يتطلبه العمل من صبر ودأب، وفي السماء يهتدى بالمثل التي ترسم أمامه لتكون له على الطريق أهداف وغايات " <sup>1</sup>.

إن العلم والقيم كلاهما في أوروبا وأمريكا ينبت من الأرض وأما الثنائية المقترحة فتجعل العلم نباتاً ينبثق من الأرض وظواهرها، ويجعل غيباً ينزل من السماء ووحياً مطلق لا يتغير مع تغير الزمن فهي ثابتة من ناحية الأسس، والعلم نسبي يتغير مع التغير والتطور، <sup>2</sup> وهكذا أراد زكي نجيب محمود إيجاد سبيل من أجل دمج التراث العربي القديم في حياتنا المعاصرة، حتى تكون لنا حياة عربية و معاصرة في آن واحد وذلك من خلال البحث عن طرائق السلوك التي يمكن نقلها عن الأسلاف العرب بحيث لا يتعارض مع طرائق السلوك التي استلزمها العلم المعاصر، <sup>3</sup> ويرى زكي نجيب محمود أنه لا سبيل لأن تكون عربياً ومعاصراً في آن واحد معاً إلا إذا أخذنا من التراث صورته دون مضمونه، والأخذ من الفكر المعاصر مضمونه دون صورته، ثم ندمج الصورة التراثية مع المضمون المعاصر فنشكل بذلك عربياً معاصراً. <sup>4</sup>

إذا ما نظرنا إلى تاريخ الفكر في الشرق نجد بأنه هو تاريخ الإدراك الصوفي حسب زكي نجيب محمود بإعتبار أن الشرق نزعة روحانية تصوفية فنية على غرار الغرب الذين ينتهجون النزعة العقلية المنطقية العلمية، وإذ توسطنا الحديث عن هاتين النزعتين نجد أنهما متجاورتين في رحم الشرق الأوسط بحيث لا يمكن ترجيح القول بأن كلا من الشرق والغرب شيء واحد كما لا يمكن أن نسلم بالقول على أنهما نقيضان لا يلتقيان لأنهما اجتمعا في الشرق الأوسط، وكذلك هما مجتمعان في كرة أرضية، وعليه فسلامة القول أن يقال أنهما نزعتان متكاملتان في كل فرد وفي كل أمة ينسب تختلف من فرد لآخر ومن أمة لأخرى بحيث إذا ما أصرفت أمة في تأرجحها نحو العلم مثلاً أن يحثها من يذكرها بأنه لا بد للإنسان من دفئ العاطفة. <sup>5</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص 284.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 284.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 285.

<sup>4</sup> زكي نجيب محمود، "من خزنة أوراقي"، ص 148.

<sup>5</sup> زكي نجيب محمود، "الشرق الفتان"، ص 119.

إذاً الجمع بين التراث والمعاصرة عند زكي نجيب محمود لم ينشأ مرة واحدة في المرحلة الثالثة من تطوره الفكري بل إن ملامح التوفيق كانت موجودة في المرحلتين الأولى والثانية ولكنها لم تتبلور بشكل قوي إلا في أواخر حياته.



# الفصل الثالث

فكر زكي نجيب محمود  
بين القبول والرفض



## الفصل الثالث: فكر زكي نجيب محمود بين القبول والرفض.

المبحث الأول: عوائق تجديد الفكر العربي المعاصر في نظر زكي نجيب محمود.

## المطلب الأول: ضرورة الإلتفاتة إلى التيارات الفكرية المعاصرة

يبدو أن ثقافة هذا العصر لم تكن وليدة تيار ومذهب فكري واحد، بل هي ثمرة عمل مذاهب عديدة ومتنوعة، وتصورات مختلفة تقدم بها أعلام الفكر لتأسيس وبناء هذا الهيكل الثقافي القوي مع العلم أن هذه الثقافة اليوم حظيت باهتمام كبير في غاية الأهمية، لما تتميز وتنفرد به من طاقة وقوة وقدرة على تشكيل وتأسيس وبلورة الرأي وتكوين وتشكيل العقل، ببساطة جداً إنها انعكاس فلسفة العصر التي تقوم على المزج والربط بين المتناقضات بالضرورة ظاهرياً أو شكلياً. فهي صناعة تقنية من جهة وثقافة تصرف وتبعد الذهن على التذوق الشخصي والمتعة الفردية، فهذه المزوجة بين الثقافة والتقنية كانت في الحقيقة نتيجة التحولات التي طرأت على هيكل المجتمعات المعاصرة، بالإضافة إلى ذلك لقد أثارت جدلاً بين المثقفين خاصة عندنا نحن العرب فأضحى الإنسان العربي يشده إلى المستقبل أمل، ويعوقه عن الماضي ألم شديد وقاسي جداً، وبين هاتين القضيتين، أي قضية الأمل وقضية الأمل تدور كتابات ومساهمات مفكرينا مركزة وملحة على معالجة الهم العربي من الداخل والخارج.

وتأسيساً على ما سبق ذكره يمكن طرح بعض التساؤلات الوجيهة وهي: **كيف كانت نظرتنا إلى الثقافة أو المسألة الثقافية؟ وبأي منظار نظرنا إليها من وجهة نظر المفكر العربي زكي نجيب محمود؟**

يبدأ المفكر زكي نجيب محمود في البحث عن موقفنا منها بإعطاء نظرة خاطفة حول مراحل التاريخ الفلسفي. مبرزاً أن لكل عصر من العصور ثقافته ومنهجه الخاص في مناقشة ومعالجة الصعوبات المعترضة وتعكس طابع الإشكالية التي تكون لها الصدارة الأولى بين المفكرين منذ عهد سقراط، وإلى غاية بداية القرن 19. وكان السؤال المطروح والهدف المنشود متفقاً عليه من

طرف الفلاسفة، ولكن الاختلاف يكون في الإجابة التي يعرضها كل مفكر وفيلسوف للحل وهذا يدل على أن الإتفاق على السؤال لا يعني بالضرورة الاتفاق على الإجابة.

يقول زكي نجيب محمود "لكن عصرنا هذا لم يكن كسابقه، بل تعددت فيه المسائل الرئيسية، فانقسم المفكرون حيالها".<sup>1</sup>

إذن التعدد حاصل والتنوع موجود لمختلف المذاهب الفاعلة، فأضحى عصرنا يعج بنتائج العلم، وما جاءت به وأدخلته التكنولوجيا والتقنية من تشكيلات وأنماط جديدة، جعلت مصير الثقافة رهين القدرات والإمكانات المادية الحديثة، التي تنتجها وتروجها ببساطة شديدة إنها الحصيلة الكبرى والتي وجدها الإنسان العربي ذات صلة وعلاقة مباشرة بحياته فوقف منها إمارضاً ونبذاً وإما قبولاً وتحليلاً، ينتهي إلى التبديل والتغيير والتعديل والتحسين، لذلك يقول مفكرنا العربي عنها "فالعصر في الوجهة الثقافية هو تلك الأفكار والأحداث التي مست حياتنا فأثارت اهتماماً في إخلاص وتكلف فيه".<sup>2</sup>

يبدو أن معالم وأسس هذا الفكر إذ تفحصناه بغض النظر عما يوجد فيه من زلات وأخطاء جسيمة من الجانب العلمي لوجدناه ينحصر في أربعة تيارات أو مذاهب أو نظريات كبرى يدور حولها النشاط الفكري بشكل عام وهي: "تشارلز داروين بنظريته عن التطور، وكارل ماركس برؤيته لتطور التاريخ، وسيجمون فرويد عن اللاشعور، وأنشطين" بنظريته عن النسبية"<sup>3</sup> ولكل نظرية من هاته النظريات ميدانها ومنهجها الخاص بها، إلا أنها تجتمع وتتفق في نقطة واحدة وهي تكسير وتحطيم الحواجز الصعبة والقوية فوجدت فلسفة قائمة على الحركة والسيرورة والديناميكية، فنتج عنها افتتاح الإنسان بضرورة التغيير والتحول تبعاً للظروف وأوضاع تشارلز داروين والفصل بين الإنسان الواعي العاقل ومستويات اللاوعي المغروس والدفين "سيجمون

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص 39.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 18-19.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "هموم المثقفين"، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1981م، ص 31.

فرويد" والفصل بين طبقات وتشكيلات المجتمع الواحد "كارل ماركس" ورفض الإطلاقية في العلوم لتجعلها احتمالية ونسبية "أنشطين".

إذا تأملنا كل ما قلناه من زاوية فلسفية يمكن أن نقول أن المذاهب المتقاسمة في هذا العصر هي أربعة:

" المذهب الوجودي، والمذهب البراغماتي، والمادية الجدلية، والفلسفة التحليلية". وعلى الرغم من وجود الإختلاف الشكلي والظاهري والخارجي الذي يظهر لنا جلياً، فإنها في الواقع تتفاعل مع بعضها البعض، ومتكاملة ومتحدة فيما بينها، ولكل واحدة منها اهتمامها وميدانها، ومحاور ارتكازها، وموضوع سؤالها وفي هذا يقول:

"وفي الجانب الذي تكون له أولوية النظر عند كل منها دون أن تكون الجوانب المتعددة متعارضة فيما بينها بل هي جوانب يكمل بعضها البعض".<sup>1</sup>

في الحقيقة لن يكون للفكر الإنساني معنى إذا لم يكن أداة ووسيلة رسم الطريق المؤدية إلى التغيير واجتياز المعضلات والمشكلات الصعبة جداً.

ويرى زكي نجيب محمود: أن تعدد المذاهب وتنوعها هي اهتمام كل واحد منها بمسألة دقيقة تجلب المنافع والنجاحات، وتعتبر علامة غنى لا فقر في الثقافة خاصة إذا كانت الثقافة متكاملة فيما بينها. وغير متعارضة ويرى أن مسألة التطور الحاصل في المجتمعات الغربية، كانت في الحقيقة نتيجة إدراكها ووعيها الثاقب لضرورة وحتمية التحضر والرقى والتقدم، دون أية عقدة تمنع من الاستفادة من نتائج كل نظرة بنظرة شمولية وعامة، وأن الحقائق عندهم مرهونة بطرائق وميكانيزمات تطبيقها، وفي هذا يقول " وجننا نحن أغنى رجال الفكر الفلسفي في الأمة العربية وأردنا أن ننقل... فلم نقصد التفرق على اختلاف في زاوية النظر بل جاوزنا ذلك فتحول الميدان

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "هموم المثقفين"، ص51.

على أيدينا ميداناً للصراع الفكري، تتبادل فيه الأطراف ألوان السباب فضاع الحق في غمرة النفع المثار".<sup>1</sup>

واضح جداً أن الفكر المعاصر الذي أردنا أن يكون ذا صلة مباشرة بحياتنا لم يكن وليد عقولنا، بل هو غريب عنا نحن العرب منقولاً إلينا عن طريق المفكرين وكل أخذ ونهل ما يتفق ويتلائم مع طبيعة تكوينه العقلي وأصبح داعية إليه ومنظراً له، دون أن يتفطن إلى أنه لا يتعارض وليست هذه التعددية دالة ومعبرة على تمزق وتقطع، وأصبح الصراع على أي المذاهب أجدراً وأولى بالدراسة والبحث ونسينا مشكلاتنا المطروحة، مما شكل وترك حيرة في نفوس الناشئة وكان عاملاً من عوامل التمزق، فنشأت مجموعة خارجية عن مناصري هذه المذاهب الكبرى التي ذكرناها سالفاً وأُنكبت على التقديم، دون أن تعرف عن عصرها شيئاً نتيجة الصراعات والنزاعات المذهبية والتتكر لتكاملها، فكان في الحقيقة عائقاً أمام العصرية والحداثة وحياة تراثنا العربي الإسلامي طالما أن مشكلة التوفيق هي المحور الجوهرية في حياتنا الثقافية الراهنة، بمعنى أوضح الدعوة إلى عدم عزلة وإبعاد المذاهب والتيارات الفلسفية بعضها عن بعض، والنهضة والرقي والصحة والتقدم لن تتحقق إلا بالنظر إلى هذه المذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية بشكل عام وشامل.

مجمل القول يمكن أن نلاحظ أن رؤية المفكر العربي زكي نجيب محمود هذه لم تكن مجرد نزوات وحالات عاطفية ووجدانية، وإرسال للقول دون أن يخطر بباليه وفكره خطر هذا الإرسال من جهة، ولم يكن مجرد إنسان مثقف يتمتع ببصيرة عالية وثقافة شاملة، ولكن نظرته ورؤيته كانت نتيجة مسيرة ثقافية ونظرة تاريخية طويلة جداً ولكن رغم هذا يمكن القول أنه في الوقت الذي يمقت ويرفض فيه المذهبية، نجده هو الآخر دون أن يشعر بأنه يناصر ويمجد مذهباً وتياراً من التيارات الفكرية ويعمل ويناضل جاهداً من أجل تحقيقه وتجسيده، وتكريسه على أرض الواقع بكل ما يحمله من طاقاته في خدمة الثقافة العربية والسير بها نحو النهضة والتطور والديناميكية.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص39.

وفي الأخير لابد أن ندلي بدلونا اتجاه هذه المسألة الشائكة والغريبة الأطوار، ما دام لكل تيار منهجه الخاص به، وبإمكاننا أن نتساءل كذلك أليس من الغريب أن يكون إدخال المناهج المختلفة على الثقافة والفكر يشكل في الحقيقة عائقاً هو الآخر؟

### المطلب الثاني: إشكالية العقل وأزمة المنهج في حياتنا المعاصرة

إن الحديث عن قضية التقدم والتخلف يعني محاولة الغوص إلى حيث تكمن الأسباب والمعوقات في حياة الناس، ومن ثم البحث عن الأساليب والطرائق للقضاء عليها وتجاوزها (أي المعوقات) وبعبارة أخرى وجود العوائق والصعوبات في الفكر بشكل عام والفكر العربي بشكل خاص يعني وجود أزمة ابتداع مؤدي إلى تمييز الصدق من الخطأ والصواب من الكذب، ولأنه وليد نتاج العقل أي الإبتداع أو الإبداع.

يخيل إلى أن الأزمة الخائفة والصعبة التي نعيشها بكل جوارحنا نحن العرب والمسلمين اليوم، هي في الحقيقة أزمة عقل بالدرجة الأولى، ومن ثم فقضيته ومسألة العقل والعقلانية تطرح نفسها بإلحاح في لحظة من لحظات العلاقات العربية، منذ بداية الإصطدام والتضارب والتناقض بعناصر وأسس الحداثة (العصرية).

إذن العالم اليوم يحكمه ويسوده منطق العقل الذي لا يترك أي منفذ للعاطفة وللحياة الوجدانية، ويكون الفكر الإنساني دون شك مقيداً بمنطقه، لذلك كانت هناك علاقة وطيدة الصلة بين العقل والعلم تظهر وتزداد يوماً بعد يوم وسنة تلو أخرى، وليست هناك أي دلالة اجتماعية أو تاريخية للعقل، بل العقل هو خاصية وميزة إنسانية ذاتية وشخصية في كل زمان ومكان، ولكن الفرق والإختلاف يكمن في اللجوء إليه أو اللجوء إلى الوجدان وفي هذا الإطار يقول زكي نجيب محمود " واني لأزعم هنا بأن متوسط الفرد من أبناء الأمة العربية في عصرنا يفلت من يديه زمام العقل فتجمع عنه الشهود والعاطفة جموحاً يحجب عنه رؤية الأهداف الواضحة، ومن ثم فهو يسد أمامه سبل الوصول فلننظر إذن إلى أوساط الناس من حولنا فماذا ترى؟

نراها على عداوة حادة مع العقل وبالتالي فهم على عداوة لكل ما يترتب على العقل من علوم ومنهجية النظر ودقة التخطيط والتدبير".<sup>1</sup>

فيما يبدو أن العلم وتقنياته التي تعج بها حضارة العصر هي في الواقع عقل تموضع وتجسد ليخرج الكامن الخفي وراء الطبيعة أو بالأحرى خلف الظواهر الطبيعية، لأن اللجوء والاحتكام إلى منطق العقل يعني في الواقع إدراك السلبيات والأخطاء الناتجة عن أحكامنا وآرائنا، وبالتالي إعادة النظر فيها حيثما تبينت مواضعها ومواطنها ولأنه من يحتكم إلى عقله يعرف مسبقاً أن أحكامه وأفكاره ومعرفته للخطأ ليست معصومة، وتكون لديه قابلية واستعداد للإتقان من طرف الآخرين عكس من يحتكم ويلجأ إلى عاطفته، وبالتالي يقول زكي نجيب محمود: " لكننا نصر على الركون إلى العاطفة وإصرار الفراشة على النار الحارقة، ونترك عقولنا في أزمتها تنظر لنا البعث الجديد".<sup>2</sup>

بالحقل المعرفي في الثقافة العربية الإسلامية هذا التأثير الوجداني والإيقاع العاطفي، الذي يقف ويعوق كل مبادرة ومحاولة عقلانية جادة وهادفة وخلقة، فالعقل إذن باعتباره ملكة وقدرة على التأمل والتفكير والتقييم والحكم لم نتعود الإحتكام والركون إليه بعد، هذا وعلى الرغم من أن تراثنا وثقافتنا العربية الإسلامية جوهرها العقل الثاقب والنير، مع العلم أن بعض المجهودات خلصت إلى الحديث بأن تقسيم التراث مهما كانت مصادره يتطلب منا البحث عن مكونات العقل الذي أنتج هذا التراث، ووضع هذه المكونات موضع المساءلة والتحليل النقدي والبناء. لذلك يرى محمد عابد الجابري ومحمد أركون وغيرهما من المفكرين أن التضخيم الإيديولوجي في الفكر العربي المعاصر يلغي العقل، أو يعمل جاهداً من أجل احتواء نتائجه وإقصاء مسألاته المزعجة، مما يساعد على انتعاش السلوك السحري، في كل مجالات الحياة العربية في السياسة والاقتصاد والمجتمع والفكر وإلغاء الحركة الصممية للواقع العيني.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص70.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص70.

<sup>3</sup> محمد نور الدين آفاية، "المعقول والمتخيل في الفكر العربي المعاصر"، مجلة المستقبل العربي، عدد 160، سنة 1992، ص6.

في حين يتحدث المفكرين والفلاسفة عندنا عن العقلانية باعتبارها تحدياً يومياً يواجه الإنسان العربي المسلم كيفما كان موقعه ومكانه في تبادله اللامتوازن واللامتكافئ مع عالم التقنية بشتى أبعادها، والحداثة والعصرنة، ولا يفهم من هذا أنهم ينفون أو يرفضون كل محاولة عقلانية عن الفكر العربي المعاصر، فنحن نجد مجالات وقطاعات عديدة ومختلفة تمارس فيها أشكال العقل أكثر ضبطاً وتحكماً وصرامة، إلى جانب ذلك هناك مجالات أخرى تحت وتشجع على الإقبال على التفكير والعمل السحري والإدراكات العقلانية للأفكار والأعمال والأشياء.

فما يترتب عن اللجوء والإحتكام إلى منطق العقل النير. الدقة والصرامة في التخطيط والمنهج المحكم وهذا بشرط إذا استخدم العقل الإنساني استخداماً سليماً ودقيقاً كما يقول المفكر والفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت.

في الحقيقة لقد كانت الثقافة العربية نظاماً معرفياً في التأمل والتفكير وبتقرير نظرة معتبة وتصور للعامل يخدم العقيدة، وكان هذا النسق المعرفي كما يرى محمد عابد الجابري. وهو البرهان الأرسطي منهجاً ورؤيةً ونعني بذلك المنطق، وكما يسميه أرسطو التحليل والمقصود هنا هو تحليل العلم إلى مبادئه وأصوله، وقد كان أرسطو يطمح إلى إنتاج قواعد منهج برهاني لتحصيل معرفة صحيحة، وتأسيس تصور علمي يقيني عن العالم بإعتماده هذا المنهج، والمنهج والرؤية في علاقتهما الجدلية هو ما نسميه نحن النظام المعرفي.<sup>1</sup>

لقد أدرك أرسطو الملقب بالمعلم الأول قيمة المنهج وأهميته الذي يكشف به عن التناقضات. ثم إن ما وصل إليه أرسطو يعتبر ممارسةً وعمليةً فعليةً وحقيقةً للنقد الهادف في ميدان الإبستمولوجيا، ولقد استعاد تاريخ الفلسفة اليونانية كله وبرهنه، وهو في الحقيقة استرجاع وإحياء نقدي يرمز ويكشف عن سلبياتها وموطن ضعفها من إيجابياتها وقواتها، وإلغاء كل فكر لاهوتي ليصل إلى الفكر العقلاني.

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، "بنية العقل العربي"، سلسلة نقد العقل العربي، ط2، سنة 1987م، بيروت، ص413.

وبهذا العمل فقد أحدث قطيعة إبستمولوجية معرفية في بنية الفكر اليوناني كلية من الجانب المنهجي ونحن نتحدث عن المنهج الأرسطي باعتباره أحد النظم والأنساق المعرفية التي شهدتها الثقافة العربية الإسلامية يتأتى من أجل توظيفه في خدمة الأهداف والغايات الدينية والإيديولوجية مما يعني أن أجدادنا وأسلافنا الأوائل كانوا يستخدمون طرق وسبل المعرفة اليقينية والحقيقة أيّاً كان مستحدثها والدليل على ذلك تاريخ الفكر الذي يكشف ويبين لنا أهمية وقيمة المناهج، كقطيعة واستمرارية، ولقد وجدنا هذا النوع من الدراسات على سقراط في الفكر اليوناني، ومع روني ديكرت في تاريخ الفلسفة الحديثة في العصر الحديث، عندما أراد أن يخرج العلم من مرحلة الظن والشك إلى مرحلة اليقين والحقيقة الساطعة ودلالة وغاية ومعنى هذا الكلام، هي أن كثرة وتنوع وامتلأ المعرفة العلمية إذ لم يكن مرفقاً ومتبوعاً بمبادئ وأسس المنهج في طريقة النظر والرؤية إلى الحياة لعلمية ناقص وقاصر جداً. وهذا الانفصال والتناقض والتباعد بين العلم ومنهجه، هو الذي عاقنا عن حركة النهضة والتطور والتقدم وبناء الصرح الحضاري الشامل، وفي هذا السياق يقول المفكر العربي زكي نجيب محمود " وحياة الأمة اليوم ينقصها أن تنظر إلى أمورها بمنهج العلم ".<sup>1</sup>

### المطلب الثالث: إشكالية قراءة التراث العربي.

هذا ومن عوائق الإخفاق في قراءة التراث العربي التي يراها مفكرنا زكي نجيب محمود، والتي اعترضت سبيلنا نحو النهضة ولم نستطع التخلص منها، ولم نعرف كيف نستفيد منها لتكون دعامة ترتكز عليها في إقلاعنا الحضاري، كما يقول المفكر الجزائري مالك بن نبي وقصدنا حوله مفهوم التقدم والتطور هو ما انحصر في اجترار القديم، اعتقاداً منا أن العصر الذهبي هو فيما قدمه لنا السابقون مع العلم أن ظاهرة التقدم ترتبط بالدرجة الأولى بالتطور وإضافة الجديد لا تكرار وإعادة القديم بشكل حرفي، لأنه إذا كان بهذه الطريقة فإنه يفسد ويعكر الفكر، ويؤدي به إلى الدوران فيما قاله القدماء في شكل وصورة أعمال ومؤلفات متكررة كانت موجودة عند السابقين.

لقد هيمن التراث العربي وحده على عقول وأفكار الباحثين والدارسين، وغلب على الناس جمع وترتيب المواضيع في الكتب الجاهزة، من غير أن يدركوا كيف نشأت هذه المعارف العلمية

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "أفكار ومواقف"، دار الشروق، ط1، بيروت، سنة 1983م، ص211.



العديدة، وشروط وجودها مع العلم أنه أصبح المفكر والعالم عنده مجرد ناقلاً ومعيداً للمعلومات، يستعرضها كلما صادفته مشكلة من مشاكل الحياة اليومية الراهنة تطلب الإجتياز كما يقول زكي نجيب محمود في هذا النص " فإن الدارسين يحفظون عن ظهر قلب ما يتلقونه من مآثورات الأولين يخرجوها في المناسبات المختلفة تسمعياً"<sup>1</sup>. ويعتقدون أنهم بعرضهم للكلمات التي نقلوها عن الأوائل قد حلوا المشكلة، مع العلم أن دراستنا للتراث العربي والنظر فيما أنتجه وتركه لنا أسلافنا الأوائل يجب ألا يأخذ شكل وصيغة الحفظ والتلقين والتكرار، والنظر إلى محتوى ومضمون النص القديم في أشلائه وجزئياته، بل من الأفضل أن نجعل المعول عليه الإطار النظري الذي يكمن المضمون الجزئي بين ركائزه ودعائمه، بمعنى أدق أن نأخذ من الكلمات صورها المجردة التي تشبه القوانين العلمية، وتصبح بأيدينا أدوات وآليات فكرية تطبق حيث تنطبق، وهذا الإجتياز قد أصبح نوعاً من العجز والقصور يلوذ المفكر والعالم إلى الأفكار المجردة، وتلك هي حقيقة الجمود والركود الفكري والعقلي كما يقول زكي نجيب محمود.

ونستخلص مما سبق ذكره أنه ليس عيباً أن نلجأ ونعود إلى ما تركه وكتبه أسلافنا القدامى في معالجة مشاكلنا التي تتحدانا ونقلت من أيدينا لاجتيازها، و لكل أمة من الأمم تراثها إذا ما أرادت أن تربط ماضيها بحاضرها ولكن بشرط أن نجردها ونحن على بصيرة ووعي بحالات تطبيقها وتجسيدها دون أي غلو أو تعصب.

فالتراث العربي في حقيقته ليس مجرد قضايا يتصارع حولها المفكرون، بل هو مشروع مستقبلي يحمل في ثناياه وعياً جديداً لأبنائه، والرجوع إليه، يعني البحث والدراسة عن حل ناجح لأزممتنا وإخفاقنا، وتخلفنا وانحدارنا إذا ما أدركنا وعرفنا جوهر وروح ما ننقله من التراث الغربي القديم، وفي هذا يقول المفكر محمد علي الكبسي "إن قراءة التراث تعني استحضاراً لعناصر الوعي لبناء رؤية عقلية تمتاز بالوضوح العلمي والعمق الفلسفي، فهي ليست مجرد ملاحظات وليست كذلك ترتيباً لموضوعات التراث. بل دخول صميم للكشف عن جوهر الظواهر التراثية وربطها بحقلها التاريخي، فهي الموقف التأملي تجاه طاقات المجتمع وتوجيهها داخل السيرورة

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "قيم من التراث"، ص178.

التاريخية"<sup>1</sup>. في حين يرى زكي نجيب محمود ضرورة الوقوف من التراث وقفة تحليلية نقدية، كما وقف أسلافنا القدامى مما هو موروث عندهم، وما هو مستحدث عليهم. حيث وقفوا من التراث الجاهلي وقفة تحليلية نقدية، كما وقفوا من الثقافات الواردة عليهم موقفاً نقدياً، وعن هذا الموضوع يقول "فلا هم كانوا عبيداً لها، ولا هم استكبروا عليها، بل وقفوا منها موقف العاقل البصير يعرف ماذا يأخذ منها، وماذا يدع، أفليس في هذا درس نتعلمه من الأسلاف"<sup>2</sup>.

وبمعنى أدق، أنه يجب ألا نأخذ من التراث العربي إلا ما يساعدنا على مواصلة الطريق ولا نأخذ من القديم مجرد روايات تحفظ في الكتب والمتون، لأنه كما يرى المفكر العربي حسن حنفي الإعتماد على النقل يؤدي لا محالة إلى الإبتعاد عن الواقع المعاش، واصطناع وخلق واقع مزيف والسبب في ذلك يعود إلى تراكم هذه المعارف المتنوعة، كما يؤدي أيضاً إلى تربية ما يسمى عقد النقص من بعض المسائل التراثية.

والأهم من ذلك كما يرى المفكر محمد عابد الجابري، أنه لم يكن مجرد نقل حرفي في بعض الأحيان، بل يتعدى ذلك إلى سلب ونزع المنقول مضمونه المعرفي ومحتواه الإيديولوجي مما يزيده تشويهاً وغموضاً وإبهاماً.

ماعسانا أن نقول بعد هذا لقد تبين لنا أن ما كان يطمح إليه المفكر زكي نجيب محمود هو ألا نتقبل النظريات والأفكار المنقولة دون مناقشة وتحليل وتعليل ونقد بناءً ونعتبرها بمثابة النموذج المثالي الخالص ونقصر جهودنا ونشاطنا على دراسات وموضوعات جزئية في إطار ذلك النموذج والشكل المثالي، لأن هذا يؤدي لا محالة إلى تراكم وتكديس معلومات ومعارف، دون أن يؤدي إلى حدوث طفرات أو نهضة وتقدم حقيقي جاد.

حقيقة أن الإستفادة من التراث العربي يجب أن يكون قاعدة وركيزة نستند عليها بمحاولات فكرية وإسهامات جديدة من الناحية الشكلية الصورية المنطقية، لا من ناحية المضمون أو المحتوى

<sup>1</sup> محمد علي الكبسي، " التراث وإشكالية القراءة، الفكر العربي المعاصر"، (مجلة فكرية) تصدر شهرياً عن مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 29، سنة 1984م، ص105.  
<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "أفكار ومواقف"، ص187.

إضافة إلى ذلك يجب أن يكون مزودين بمناهج وأساليب جديدة وعصرية للبحث الجاد، تقدم لنا أنساقاً وأنظمة وتصورات فكرية في غاية المعقولية، بعبارة أخرى يجب أن نتخلص من الأشكال والنماذج المثالية المتموضعة والمتجسدة والراسخة والتي كثيراً ما تكون في حجرة عثر أو عقبة أو عائق من العوائق التي تقف أمام أية نهضة وصحوة وتقدم علمي هادف وجاد، ومن أبرز الأمثلة على ذلك هو الانتقال من التصور الأرسطي الفيزيقي إلى التصور...، ثم الانتقال إلى التصور النسبي أو النظرية النسبية لأينشتاين وأخيراً نظرية الكوانطوم السائدة في عصرنا الحالي.

وهنا نلمس نزعة زكي نجيب محمود التحليلية النقدية التي كرس حياته من أجل اللحاق بالأمم الأخرى التي حققت نهضة علمية جادة في شتى ميادين الحياة الصناعية والتكنولوجية والتقنية وهذه هي غاية مفكرنا العربي من أجل تحقيق ما يسمى بالخطاب التجديدي و النهضوي في العالم العربي الإسلامي.

#### المطلب الرابع: اضطرابات مفهوم العلم في عقولنا

لا شك أن العلم اليوم قد خاض في أعقد القضايا والمسائل، حيث أبان كثيراً من القوى الطبيعية وخواصها ومميزاتها. ووظف ذلك لبلوغ غايات، إضافة إلى ذلك النقد تعامل الإنسان مع منجزات العلم لتحقيق الرفاهية، وإذ نتحدث عن العلم المعاصر، قصدنا بهذا الكلام نتاج العقل الإنساني الجاد، حيث لم يصل الإنسان إلى ما وصل إليه من علوم ومعارف وتقنيات دقيقة، إلا بعد جهد جهيد ومراحل من التطور والتغلب والسيطرة على عدة صعوبات وعوائق متعددة جداً وفي هذا يقول المفكر العربي فؤاد زكريا: "ولابد أن تاريخ النشاط الروحي والعقلي للإنسان كان تاريخاً للأخطاء والأوهام التي تغلب عليها الإنسان بمشقة بقدر ما كان تاريخاً لحقائق كتبت بالتدرج".<sup>1</sup>

لقد تخلى الإنسان على تفكير وتأمل وتبين بأنه عديم الجدوى، ولم يبق إلا على التفكير السليم الذي يساعده على تأسيس وبناء المعرفة العلمية الصحيحة، واستخراج القوانين والنواميس

<sup>1</sup> فؤاد زكريا، "التفكير العلمي"، سلسلة عالم المعرفة، ط3، الكويت، سنة 1988، ص60.

الكامنة خلف الظواهر الطبيعية، وعندئذٍ فهم واستوعب الإنسان نفسه والعالم والكون المحيط به وفي هذا السياق يقول المفكر زكي نجيب محمود: " فالعلم وتطبيقاته على الحياة شرط أساسي لازدهار الحياة ثم يجيء هذا الإزدهار بدوره شرطاً أساسياً لتقدم العلم وتطبيقاته".<sup>1</sup>

وبالتالي يثبت في عقول الناس أن العلم الدقيق يطلق على جانب واحد من المعرفة، وهو جانب المادة القابلة للإمتحان والإختبار والقياس والتحليل المنطقي القائم على البرهان الرياضي مما يعني حصره في جانب معين، وإبعاد كل ما يتعلق بالإنسان، وهذا ما أدى إلى التمييز بين المعرفة الإنسانية، فهي بالدرجة الأولى علمية مقولاتها حقائق وإنسانية تقوم على الظن والتخمين والتأمل والإنسان باعتباره كائن متكامل بعقله وعاطفته ووجدانه فخشي الناس هيمنة وسيطرة العلم على العاطفة باعتبار أنه لا مجال للعاطفة فيما يسوده العلم نتيجة المقابلة بينهما، وحقيقة الشيء كما يرى الأستاذ زكي نجيب محمود لا تعارض بينهما، وأن لكل من العقل والعاطفة مهمته والمهمتان متكاملتان في كل عملية، فالسير نحو تحقيق الهدف المنشود فاعلية عقلية، واختيار الهدف عملية إرادية، فالعملية العقلية تكون في البحث عن الكيفية التي يتحقق بها الهدف لتحويله من مجرد رغبة إلى محسوس وكان ذلك كله نتيجة الخوف من محدودية النظر في العلوم واهتمامها بجانب المنفعة والإنسان يتجاوز ذلك، وعليه فالنظرة الجزئية إلى طبيعة الإنسان تفقد الإنسان تكامله،<sup>2</sup> طالما أن الإنسان مركب من جسد وروح معا، وهنا نلاحظ مفكرنا العربي بالإضافة إلى ذلك أو إلى هذا الموقف المشوه لصورة وطبيعة العلم عندنا يرى أن العلم المعاصر يزيد الناس اشمئزازاً وخوفاً على كرامة الإنسان هو التقنيات العلمية التي تجري على الإنسان كزرع القلب فرفض الناس عندنا أن يكون الإنسان كغيره من الظواهر الطبيعية، وأن هذا راجع إلى أننا قبلنا نتائج العلم دون مبادئها فيقول: " فقبلنا في العصر نتائجه العلمية، النظرية وأجهزته وآلاته ورفضنا أن نحصر النظر في دنيا الظواهر الطبيعية لما يحصر".<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص225.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص36.

<sup>3</sup> المصدر نفسه ص228.

فالعلم إذن هو نقل الإنسان من البحث ن أسباب الظواهر إلى قوانينها، وجوهر الثقافة العربية الإسلامية هو البحث عن العلة والسبب الأول، لأن ذلك يتفق مع الإيمان بوجود الله حيث العلم المعاصر ينصب على كيفية تفاعل عناصر الطبيعة وصيانة القوانين العلمية صياغة رياضية والتخلي عن السؤال الذي يؤدي إلى البحث عن الغاية والهدف. لقد وقع الإنسان العربي اتجاه العلم وتطبيقاته الحرج وبقي يؤرقه القلق والحيرة عن أمره، كما يرى زكي نجيب محمود بقوله: "لأن العربي يريد أن يضيف إلى عالم الشهادة غيباً مستوراً... إدراكه يبني على الإيمان".<sup>1</sup>

فهو يرفض اكتفائية العلم المعاصر بالنظر إلى ظواهر الأشياء والأمور لذلك يقول: "ومن ثم استمسكت ثقافتنا العربية بنظرتها التقليدية الأصلية التي تفرق بين بدن وروح، لتكون هذه التفرقة مدخلاً إلى تفرقة أعم ولعلها أعم بين دنيا ودين، بين حياة أولى وحياة آخرة... فإما أن يميل أصحاب النظر الفلسفي أو العلمي، إلى تعقيل الطبيعة، وإما أن يميلوا إلى تطبيع العقل الأولون وروحانيون والآخرون ماديون، فالفكرة السائدة في عصرنا هذا، هي أميل إلى تطبيع العقل، أي إلى جعل العقل ممكن التحليل. بحيث يرتد إلى ظواهر طبيعية صرف... وهو ما ترفضه الثقافة العربية الحديثة في عصرنا".<sup>2</sup>

إن العقل البشري يمتاز بخاصية فريدة تجعله لا يكون بأي حال من الأحوال أن يكون وظيفة عضوية كسائر الكائنات الأخرى، لأننا لو سلمنا بذلك لأصبح الإنسان كسائر الكائنات الأخرى تفتقر لهاته الخاصة وهي خاصية التعقل والفهم والإستيعاب الحقيقي للأشياء وفي هذا المقام يرى زكي نجيب محمود أن المفكر الغربي لا يقابل بين الطبيعة والإنسان، بل يطابق بينهما بدل الإزدواجية وتستوقفه عملية المعرفة وكيف تتم، أي العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف.

أما المفكر العربي المسلم فتستوقفه علاقة الفاعل بما ينصب عليه فعله، أو قل إنها ليست علاقة العقل بالمعقول بل هي عنده أولاً علاقة الإرادة بالفعل المراد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص24.

<sup>2</sup> المصدر نفسه ص35.

<sup>3</sup> زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، ص379.

فمن هنا يمكن أن نستنتج: أن العقل والطبيعة عند المفكر الغربي جنس وشكل ونوع واحد وهو الأحداث أو الظواهر، بينما المفكر العربي يجعل من الطبيعة أكثر منها موضوعاً للنظر المجرد، وتلك هي نظرة ورؤية المفكر العربي زكي نجيب محمود إلى علاقة الإنسان بالطبيعة في الفكر العربي المعاصر.

إنه وهذه الجولة الفكرية والتحليل البناء والهادف، يصل في نهاية المطاف المفكر زكي نجيب محمود إلى أن الخوف من النفور والعلم المعاصر وما أدى إليه من اختلافات متعددة كان في الحقيقة نتيجة مشاكل وعوائق نفسية، خوفاً من العلم على العقيدة السمحاء، لاح في الأفق للإنسان العربي المسلم أن العلم بات يهدد كرامة الإنسان، ويشكل مصدر خطر على الكون أجمع، ومن الأمثلة الحية على ذلك تلك الترسانات النووية والبيولوجية والهيدروجينية، والقنابل الذرية التي تملكها الدول العظمى كأمريكا وروسيا حالياً، وإسرائيل العدو الرئيسي للعرب والمسلمين عامة لخير دليل على ذلك، وما كان ليحفظ الإنسان وإنسانيته، وأنه يعوق مجرى الحياة، يوصفه عدواً للعاطفة والوجدان.

وفي هذا الصدد يرى الفكر زكي نجيب محمود أننا ارتكبنا خطأ مزدوجاً عندما فصلنا بين القيم العليا للإنسان والعلوم الطبيعية وتعطيل القوانين الطبيعية بالكرامات الرياضية.

وكذلك لما أردنا أن نسلك مسلك النهضة الأوروبية في نهجها ومنهجها الإنساني حيث أغفلت العلوم الطبيعية ولم ننتبه ونتفطن لذلك إطلاقاً. يقول زكي نجيب محمود: " أن هذا العلم كان قد ولد... قوياً مكيناً على أيدي غاليليو وكبرنيق، ونيوتن، وغيرهم، فلم يكن بحاجة إلى ما يؤكد ضرورته"<sup>1</sup>. والخطأ الجسيم والخطير جداً هو عدم إدراكنا وفهمنا أن لكل أمة من الأمم تراثاً خاص بها إذا ما أرادت أن تحدث علاقة قوية بين ماضيها البعيد جداً وحاضرها المعيش والتفكير في المستقبل القادم.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، ص 224.

**المطلب الخامس: عوائق أخرى وقفت أمام تطور الفكر العربي المعاصر في نظر زكي نجيب محمود.**

لا ننكر أن عصرنا الحالي هو عصر العلم والتقنية بشتى أبعادها وفي هذا الموضوع يريد المفكر العربي المعاصر أن يؤسس صرحه وبناءه على قاعدتين أساسيتين هما: القاعدة الأولى: تبنى على الثقافة العربية والإسلامية الأصيلة، أما القاعدة الثانية تبنى على الثقافة الحديثة والمعاصرة من أجل أن تتلاقى الثقافات في بوتقة واحدة مشكلة وحدة عضوية، لكنه يشترط أن تكون مرتبطة بالظروف التي أوجدتها، مع العلم أن المفكر العربي المعاصر وجد أمامه أغللاً وقيوداً قيدته وكنبته حتى لا ينهض ويتطور ويتقدم، وبقي سجيناً لها ليومنا هذا حسب تصورنا وتصور معظم المهتمين والمنشغلين بالفكر العربي المعاصر، وهذه العوائق يمكن حصرها فيما يلي

أ. **انعدام حرية الرأي:** أعتقد أنه ليس للمفكر أي معنى إذ لم يكن مبنياً وقائماً على فكرة الحوار الحر، الذي لا يعلو فيه أي صوت أحد على الآخر، بحيث يجب أن تكون الأطراف المتحاورة متكافئة ومتعادلة دون أي مزايدات وأعراض ومصالح ذاتية أو إيديولوجية، بحيث يجب أن يكون الفكر قائماً ومبنياً على المشكلة المطروحة للنقاش والحل، وبعد ذلك تتم عملية الإقصاء والإبعاد حسب سداد الفكرة والرأي والتطابق مع المنطق والعقل والصالح العام بواسطة الحجة والبرهان والقياس، ولا يجب أن يكون مقياس ومعيار الحقيقة والصواب فيه ما يمليه صاحب المشروع أو الفكرة الفوقية، والأدهى والأمر من ذلك هو الجرأة والتعصب لمناقشتها، أعتقد أن ذلك سيزيد الموضوع والأمر تعقيداً وصعوبة وفساد، من جراء ما يتخذه صاحب الفكرة أو المشروع الفوقي إزاء الراضين والواقفين ضده.

كما لا يجب أن يكون الفكر في اتجاه واحد دون إعطاء قيمة للأفكار الأخرى، وإذا حدث ذلك انعدام لا محالة ما يسمى بحرية الرأي والفكر لأن الفكرة عندنا مربوطة بشخص صاحبها سلباً أو إيجاباً، ولم نستطع بأي حال من الأحوال الفصل والتمييز بينهما. وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً ودقة أن هناك تناسباً طردياً بين موقفنا من الفكر وشخص وصاحبها بطريقة شعورية أولاً وفي هذا

يقول زكي نجيب محمود " أسس البلاء في مجال الفكر هو أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأي غيره في يد واحدة " <sup>1</sup>.

ب. سلطة الماضي على الحاضر: يبدو أن الحقيقة العلمية نسبية ومهما ظهر لنا أن العلم قد وصل إلى رأي حقيقة نهائية. فدون شك أن التطور العلمي سرعان ما يفنده ويستبدله بحقائق أخرى لا محالة، بعد أن تبين له أن هناك خطأ يجب تجاوزه لكن في الواقع هذا غير موجود عندنا إطلاقاً، إذ يعتقد في القديم أهمية لا تقل عن أهمية وقيمة التيارات الحديثة والمعاصرة، وبالتالي أضحت موضوعاً لأبحاثنا ودراساتنا الطويلة، وهي في الحقيقة من الخيال والأوهام التي ضللت عقولنا وكبلتنا عن السير والتطلع نحو النهضة والتقدم والتطور وتصور غد أفضل والتي لا يقبلها الفكر الحي والنير إن صح التعبير.

كما يرى المفكر العربي زكي نجيب محمود تقديساً للماضي، ولم نستطع مغالبتة، لأننا نعتقد فيه عصمة من الخطأ، لكن الأمر ليس كذلك إطلاقاً، وفي هذا يقول زكي نجيب محمود: "بل يقف في سبيل سيرنا عقبة نحو دونما نريد أن نتقدم نحوه من تغيير للفكر وتبديل لأوضاع الحياة " <sup>2</sup>.

ذلك سرعان ما يتحول لقديمه، ومن ثم يصعب محوها من أذهاننا بحجة أنه جزء من هويتنا وأن أي تمرد عليه يعني أنه نابع عن شخصيتنا الحقيقية والأصيلة، دون أن نعلم ونعرف أن تقويم الفكر القديم لا يكون إلا بقدر ما يجلبه لنا من خيرات ومنافع ونجاحات في الحاضر المنشود.

ج. تعطيل القوانين الطبيعية بالكرامات: إن التفكير العلمي الصحيح هو التفكير المنظم القائم على مبادئ وأسس تطبق في كل لحظة دون إحساس وشعور واعي، بحيث كان يرد كل حادث إلى سبب طبيعي، وأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال ألا يحدث شيء من لا شيء وفي هذا المضمار يرى زكي نجيب محمود أن هذا معطل عندنا، وإنما هناك إحساس وشعور في نواتنا ونفوسنا نحو أن تكون القوانين الطبيعية لعبة في أيدي مجموعة وفئة من أصحاب القلوب الطيبة والكريمة.

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، " تجديد الفكر العربي "، ص 33.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 53.



وما يزيد الموضوع والأمر دهشة أنها تجاوزت إلى العلماء أنفسهم ولم يكن الفرق بينهم وبين العامة من الناس إلا حفظهم للمعلومات، ولا يربطون الأحداث بأسبابها الطبيعية إلا في قاعات التدريس والمصانع التي بوسع وإمكانية الإنسان أن يسيطر عليها، بدل أن ننظر إليها نظرة علمية ترد فيها الأحداث والظواهر إلى أسبابها المادية المحسوسة وفي هذا يقول مفكرنا العربي: " فهل أقول أننا في حياتنا الثقافية ما زالت في مرحلة السحر التي تعالج الأمور بغير أسبابها الطبيعية وأنا لو لا علم الغرب وعلماءه، لتعرت حياتنا الفكرية على حقيقتها، فإذا هي حياة لا تختلف كثيراً عن حياة الإنسان البدائي في بعض مراحلها الأولى".<sup>1</sup>

إنها ببساطة تسديدة هيمنة الخرافات وأشياء كثيرة من هذا القبيل على أذهاننا وسرعة الإنجذاب والتصديق بها، وانعدام وغياب قدرة وقوة وجرأة النقد الذي هو المحك الحقيقي للحكم على الأمور والقضايا التي تطرح علينا في أرض الواقع.

وفي هذا المبحث ذكرت العوائق التي رآها زكي نجيب محمود تقف في وجه التجديد الذي ينشده، وهي بين أهمية الإلتفات إلى التراث والجدية في تحديد العقل المهتم بذلك وتحديد أطر القراءة السليمة لكل ذلك، وما إلى ذلك مما يساعد على تجديد النظر في التراث، إضافة إلى عوائق أخرى كسلطة الماضي على الحاضر وتأثيرات الثقافة المحلية على ذلك.

**المبحث الثاني: فكر زكي نجيب محمود في ميزان النقد والتقييم.**

**المطلب الأول: فكر زكي نجيب محمود في ميزان النقد.**

إن الوضعية المنطقية ومناصرها الحقيقي زكي نجيب محمود قد تعرضت لانتقادات شديدة من قبل بعض المفكرين العرب والمسلمين. فنبدأ على سبيل المثال بذكر:

المفكر العربي "خليل ياسين" الذي قدم انتقادات للوضعية المنطقية لأنه يرى أنها غير معادية للفلسفة وأن التحليل المنطقي قدم الكثير للدراسات والأبحاث الفلسفية، وهدف التحليل هو تلخيص

<sup>1</sup> زكي نجيب محمود، " تجديد الفكر العربي "، ص 61.

العلوم والفلسفة من الهرطقات والقضايا الزائفة للميتافيزيقا، ومن المعلوم أن الوضعية المنطقية حطمت وهدمت الميتافيزيقا، لكنها وقعت في أحضان ميتافيزيقية جديدة مرتبطة بالتحليل.<sup>1</sup>

المفكر العربي "الدكتور عبد الرحمن بدوي" الذي يرى أن هدف الفلسفة ودورها كما حددته الوضعية المنطقية في الحقيقة هو دور ساذج وتافه إلى حد بعيد جداً، بحيث لا يمكن للفيلسوف أن ينزل بالفلسفة ومهمتها إلى هذا الدور الطفيلي التافه،<sup>2</sup> وقد يشاطره في ذلك أو يتفق معه في الرأي مفكر آخر يسمى الأستاذ توفيق الطويل إذ يرى هذا المفكر أن الوضعية المنطقية إتجاه فلسفي يهدف إلى تدمير الفلسفة واستبعاد قضاياها من مجال البحث هذا من ناحية، كما هو تجاهل للوظيفة الاجتماعية للفلسفة في تخمير أفكار الحياة اليومية، ومن هنا بالضبط اتفق عبد الرحمن بدوي وتوفيق الطويل على تفاهة وسذاجة وسطحية الوضعية المنطقية.<sup>3</sup>

أما المفكر الآخر الذي قدم انتقادات لاذعة إلى الوضعية المنطقية والمناصرين لها فهو المفكر العربي "محمد علي أبو ريان" الذي يرى "أن الوضعيين المنطقيين بادعائهم أن المشكلات والمعضلات الفلسفية الصعبة والمعقدة والشائكة ترجع بالدرجة الأولى إلى اللغة، فإن ادعائهم وافتراءهم هذا ينطوي على قدر كبير جداً من التبسيط المنحل والسطحية المغرقة والسذاجة التي تسقط من حسابها عن عمد وقصد تاريخ الفكر الإنساني للفلاسفة، إذ الفلسفة الحقة تسبق العلم، وتقدم له الفروض المثمرة وترسم له طريق البحث".<sup>4</sup>

وهناك مفكر عربي آخر قدم انتقادات شديدة وقوية جداً للوضعية المنطقية هو المفكر "محمد عبد الهادي أبو ريده" فهو مع إقراره وقوله بقيمة وأهمية التحليل المنطقي. إلا أنه من جهة أخرى يرى أن موقف الوضعية المنطقية فاسد وغير صالح إلى حد السخف. لماذا؟ لأنها تحاول أن تضيق نطاق ومجال المعرفة إلى أقصى وأبعد حد، ولا تؤدي إلا إلى معرفة سطحية وناقصة وفوق هذا أن الوضعية المنطقية هي كذلك محاولة جديدة لضرب وتحطيم وهدم الفلسفة المثالية بالدرجة

<sup>1</sup> بدران إبراهيم وآخرون، "الفلسفة في الوطن العربي المعاصر"، ص 181.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 188.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 189.

<sup>4</sup> محمد علي أبو ريان، "الفلسفة ومباحثها"، دار الجامعات المصرية، ط3، سنة 1974م، ص ص 198 199.

الأولى، وهدم الميتافيزيقا بقصد غير صريح وواضح، وهو محاربة الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى وبكل ما يتجاوز عالم الحس والمادة.<sup>1</sup>

إلا أننا نجد نظرة الأستاذ "علي حسين الجابري" حول تقييمه للمفكر العربي زكي نجيب محمود تختلف عن الآخرين إذ يصرح "لقد تبني محمود النزعة العلمية المنطقية التجريبية المتطرفة والمشوية بخليط ذرائعي ذاتي مع أن النزعة وتطبيقاتها نبتت في بيئة ذات خصائص تاريخية وإجتماعية وحضارية، جاءت مغايرة عن عصرها ومرحلتها وظروفها التي ولدت فيها في سياق مدني لم يألفه مجتمعنا العربي بسبب تفاوت ظروف التطور التاريخي...".<sup>2</sup>

بالفعل لقد رأى الأستاذ "علي حسين الجابري" من خلال هذا القول أن يكشف نوعاً من الخطأ الحضاري والمأزق الفكري الذي وقع فيه المفكر الدكتور زكي نجيب محمود، عندما حاول إسقاط النظرة التجريبية المتطرفة ذات صفات وخصائص ومميزات حضارية خاصة، والتي نشأت ونمت وترعرعت في وسط إجتماعي وثقافي مختلف تماماً وكلية عن العقلية العربية والإسلامية التي تميزت هي الأخرى بخصائصها وظروفها، والتي لم تكن مستعدة وجاهزة حضارياً لفهم واستيعاب وتبني هذه النظرية التجريبية العلمية أي الوضعية المنطقية.

كما يرى بعض المفكرين أن زكي نجيب محمود اهتم أكثر بالعقل كجوهر يجب أن يقيد بحثه من خلال نقده وتحليله وفحصه بشكل دقيق جداً لذلك نحن نتساءل: ما الفائدة والغاية من ذلك البحث ما لم نضع هذا العقل ضمن متغيرات ومعطيات الواقع الإجتماعي والثقافي والسياسي والإقتصادي المتجدد؟

أما المفكر العربي "محمد البهي" والذي يتفق ويقترب مع موقف المفكر محمد عبد الهادي أبو ريدة، فمحمد البهي يرى في هذا الإتجاه الذي يعرضه زكي نجيب محمود أي التيار الوضعي المنطقي في الواقع هو ترديد نافع يثمر في الجماعة الإسلامية الناهضة كفكر علمي، هندسة طب

<sup>1</sup> إبراهيم بدران، "الفلسفة في الوطن العربي المعاصر"، ص191.

<sup>2</sup> مجلة الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مجلة متخصصة في عالم الكتب والمكتبات، العدد3، بيروت 1994، ص28.

كمياء، بل هو ترديد متصف بالتسوية والتحريف والتزييف يزيد الأمر لبساً، ويدفع إلى الشك السلبي.

في حين يرى المفكر العربي "يحي هويدي"، " أن ما تذهب إليه الوضعية المنطقية هو في الواقع تحطيم وهدم لليقين وزحزحة للتنبؤ المستقبلي أو المستقبل بما خلصت وانتهت إليه الوضعية المنطقية، يعمه ويغشوه الضباب ولا يأتي بتدعيم للعلم أو يقين للإنسان وفوز وانتصار له، ولم يتردد المفكر العربي يحي هويدي في أن يصف هؤلاء الوضعيين المنطقيين بأنهم مخربون".<sup>1</sup>

والى جانب هؤلاء المفكرين الذين قدموا بعض الانتقادات إلى المفكر العربي زكي نجيب محمود حول تجديده للفكر العربي الإسلامي كمشروع للنهضة العربية الإسلامية في شتى الميادين والقطاعات نجد أيضاً المفكر العربي المغربي الغني عن التعريف بمؤلفاته وكتاباته ومقالاته المختلفة ألا وهو "محمد عابد الجابري"، هو الآخر قدم بعض الانتقادات إلى المفكر زكي نجيب محمود يحول مشروعه النهضوي التجديدي، وهو بدوره يتساءل: إذا كان زكي نجيب محمود يدعوا إلى ضرورة إعادة تأسيس العقلانية الجديدة في الفكر العربي، وينصب العقل في حياتنا الفكرية من أجل الخروج من هذه الأزمة الخانقة والحادة، فأبي عقل يقصده مفكرنا العربي زكي نجيب محمود والذي يمكننا من قراءة تراثنا الفكري؟ أهو العقل الذي تتضمنه الوضعية المنطقية باعتباره يكتسي نظرة وصيغة علمية ومنطقية خالصة؟ أو العقل كتجربة غريبة أجنبية تبنها زكي نجيب محمود في فحص ودراسة وقراءة التراث العربي وتصنيفه وترتيبه وإظهار الجانب المعقول فيه؟

يقول الأستاذ "محمد عابد الجابري" " هكذا يتضح أن نتائج التي ينتهي إليها العرض والاستعراض ستكون محكومة المقدمات، وفيلسوف الوضعية المنطقية يعرف هذا جيداً، ولكن صحوته القلقة ربما جعلته ينسى هذا، ويعتقد بالتالي أنه تحرر من الرؤية السابقة، لذلك تراه يبحث عن النتيجة هنا وهناك إلى أن وجدها، بل أسقطها على غربة أبي حيان التوحيدي...".<sup>2</sup>

<sup>1</sup> محمد أليهي، " الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي "، دار الفكر، ط6، بيروت، سنة 1973م، ص305.

<sup>2</sup> يحي هويدي، " الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان "، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971، ص175-180.

ما يمكن استخلاصه من هذا القول أن صاحب الوضعية المنطقية لم يكن ينادي بالجديد لكنه كان يحمله معه ويطوف به بين أرجاء التراث، ولما وجد في غربة أبي حيان التوحيدي قلقه وتمزقه كفاصل بين الشكل والمضمون مع المعتزلة والأشاعرة، وغيرهم من علماء عل الكلام.

وبهذا يظهر لنا جلياً صاحب الوضعية المنطقية كمتنرد يأخذ من التراث العربي كل ما يناسبه ويليق به، وبذلك يتحول من فكر قديم إلى فكر جديد، ويقارن بين مفاهيم الفكر القديم ومفاهيم الفكر الجديد والحديث والمعاصر، ليجد في النهاية فجوة ساحقة لا يمكن اجتيازها إطلاقاً.

ولابأس أن نذكر ما قاله المفكر "محمد عابد الجابري" حين يصرح قائلاً: " هل تحكم على صاحب المنطق الوضعي بالتناقض الصريح؟ ستؤجل الحكم إن أمكن ذلك منطقياً إلى حين انتهاء الصحة القلقة في النقد والتجريب، وذلك أن محاضر التجربة لا تخص الماضي وحده بل الحاضر أيضاً، وحاضرنا بعبارة أدق عصر التحول الذي نعيش فيه ليس ذا وجه بل هو ذو وجهين، فهو من جهة عصر آلة وعلم وكفاءة، ومن جهة أخرى عصر ذهبت فيه العصبيات إلى أخطر مداها " <sup>1</sup>.

أما أشد انتقاد قدمه المفكر العربي "محمد عابد الجابري" للوضعية المنطقية، فهو تأكيده أن إهمال ما لا يمكن التحقق منه بالتجربة، كما ترى الوضعية المنطقية بدعوى وحجة مطاردة ومحاربة الأفكار الميتافيزيقية، يمكن أن يؤدي إلى توقف العلم وتوقف الإكتشاف الذي لا بد له من إبداعات الخيال والعقل. <sup>2</sup>

ما عسانا أن نقول في نهاية هذا المطلب المتعلق بمواقف بعض المفكرين اتجاه فكر زكي نجيب محمود التجديدي، فلقد لاحظنا وبشكل جلي أن فشل الفلسفة الوضعية المنطقية في العالم العربي والإسلامي شيء طبيعي، فإذا كانت الفلسفة الوضعية المنطقية قد أخفت فيما ذهبت إليه من مواقف وتصورات حول بعض القضايا الحساسة مثل محاربة الميتافيزيقا وتحطيمها وأن تقتصر

<sup>1</sup> محمد عابد الجابري، " الخطاب العربي المعاصر "، كلية دار الآداب، دار الطليعة، ط2، بيروت، سنة 1985م، ص42.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ص44.

الفلسفة على التحليل وجعلها ذليلاً خاضعاً للعلم، لهذا ظهر فشلها في العالم العربي الإسلامي حيث أضحت ظاهرة عامة.

ويمكن القول هو إخفاق وفشل محتوم في مجتمع له عقيدته الإسلامية وتراثه الثقافي والحضاري الأصيل رافضاً كل ما يمس عقيدته وقيمه الراسخة، سواء من بعيد أو قريب، وبهذا يمكن أن نعلل عدم وجود أذاناً صاغية لما كان ينشده مفكرنا العربي زكي نجيب محمود وفلسفته الوضعية المنطقية.

وفي ختام هذا العرض الوجيز جداً حول بعض الآراء والانتقادات التي وجهت إلى زكي نجيب محمود حول تبنيه الوضعية المنطقية، ومحاولة تطبيقها على التراث العربي الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى حول خطابه التجديدي.

إن المفكر العربي زكي نجيب محمود لم يكن موقفه واضحاً وصريحاً في كل أعماله وكتاباتاته بحيث يتراوح بين الموقف الراض اللامعقول في تراثنا الفكري، والموقف القائل بضرورة اعتماد العقلانية الجديدة في تراثنا الفكري باعتباره جوهر الأزمة الخائفة في فكرنا، لكن رغم هذا يبقى مفكرنا العربي زكي نجيب محمود رائداً من رواد الفكر العربي المعاصر الذين حاولوا دراسة الأزمة الفكرية الحضارية في الوطن العربي من منظور عقلائي خالص، وهذا ما يمكن قوله عن هذا الرجل الذي أثرى المكتبة العربية والعالمية بمؤلفاته العديدة في شتى الميادين.

## المطلب الثاني: فكر زكي نجيب محمود في ميزان التقييم.

مع تباين الرؤى حول فكر زكي نجيب محمود وتبنيه الوضعية المنطقية نجد العديد من المفكرين الذين تأثروا بفكره نجد:

"إمام عبد الفتاح إمام" أن زكي نجيب محمود " لم يعتنق الوضعية المنطقية مذهباً وإنما وظفها لصالح الفكر التنويري"<sup>1</sup>، أي أن هدف زكي نجيب محمود من إتباعه للوضعية المنطقية هو هدف تنويري، ولقد صرح أن الوضعية المنطقية هي بمثابة المنهج الذي يتبعه الباحث للوصول إلى مبتغاه وهذا ما يتبين لنا من خلال قوله " ليست الوضعية المنطقية مذهباً بقدر ما هي منهجاً للنظر العلمي، يرسم للباحث خطواته التي تضمن له السير على أرض صلبة لا تميد تحت قدميه"<sup>2</sup>، فالوضعية المنطقية هي الطريقة المثلى التي اكتشفها من أجل تلبية حياة العرب الثقافية وخاصة في مجال الفكر.

فلم تكن دعوته الملحة لاتباع المنهج العلمي وبالأخص الجانب التكنولوجي، إلا من أجل تحقيق التقدم وتحقيق الحرية والعلم لأنه السبيل للحاق بالعصر، فقد وجد زكي نجيب محمود أن المنهج العلمي هو المنفذ الأجدر للخروج من الأزمة الفكرية التي كانت تعيشها الثقافة العربية.

إضافة إلى ذلك تأثر بشكل قوي "محمد مهران" و "حسن عبد الحميد" بالوضعية المنطقية واعتبر التحليل المنطقي فلسفة العلم.<sup>3</sup>

كذلك فقد صرح الأستاذ "عاطف العراقي" قائلاً "زكي نجيب محمود كان هرماً لثقافتنا التنويرية في عالمنا المعاصر"<sup>4</sup> وكان علينا أن نفتخر بوجود مثل هذا الرجل الذي يعتبر رائد للفكر والمعرفة والعلم والثقافة من خلال كتبه التي تفتح الطريق أمامنا للتعرف على آلاف الأفكار وهذه الكتابات تصدر عن عقلية لا مثيل لها إطلاقاً، عقلية تعد بمثابة البوصلة التي تحدد اتجاهنا

<sup>1</sup> إمام عبد الفتاح إمام، "رحلة في فكر زكي نجيب محمود"، المجلس الأعلى للثقافة، دون بلد، ص55.

<sup>2</sup> زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، ص94.

<sup>3</sup> بدران إبراهيم وآخرون، "الفلسفة في الوطن العربي المعاصر"، ص182.

<sup>4</sup> مجلة الجديد، "المؤسسة العربية للدراسات والنشر"، ص29.

وتهدينا إلى الطريق السليم والهادف وهو طريق العقل النير الذي هو ميزة الكائنات الإنسانية العاقلة.

كما أن هناك رأي آخر للمفكر العربي "علي شكري" الذي يقول "... لا يحتاج الرجل إلى شهادة، فكتابه ظل دائماً بيمينه وسوف يبقى شاهداً لا يدحض على ذروة ما انتهى إليه زمانه من اجتهاد... وكان اختياره للمنطق الوضعي صادقاً، إذ هو الإطار الذي يصوغ هذه المفردات البعيدة كلية عن الإيديولوجية... غير أن معاناة المفكر قد وصلت به إلى أدق صياغة قالت بها النهضة حول التوفيق بين العالم الغربي والقيم التراثية وهكذا كان بمثابة المحاولة الأخيرة في صياغة محاولة النهضة"، كما نجد أيضاً المفكر "يوليانا غرا فتسكي" يقول: "زكي نجيب محمود واحد من رجال التنوير القلائل في الوطن العربي في القرن العشرين، وقد كانت دراساته وأبحاثه المبكرة في الفلسفة والعلم والعقل من الأعمال التي أثارت الكثير من الجدل وشكلت في النهاية تياراً جديداً في الفلسفة العربية المعاصرة، كما أن أعماله الإبداعية الأخرى جاءت لتكمل هذا الجانب من نظيره الفكري".<sup>1</sup>

عموماً ما يمكن استخلاصه من قول المفكر "يوليانا غرا فتسكي"، هو أن أعمال المفكر العربي زكي نجيب محمود تعتمد أساساً على العقل بالدرجة الأولى، الأمر الذي أضفى على مجمل أعماله الصيغة العلمية المنطقية، فكانت في الواقع أعماله أكثر ارتباطاً بالواقع الفكري والإجتماعي المعاش.

أما المفكر "محمد أمين العالم" هو الآخر قدم وجهة نظر اتجاه زكي نجيب محمود فيعتبره نموذجاً فريداً من نوعه في الفكر العربي الحديث والمعاصر، إذ دافع عن العقل والعقلانية مع احترامه للقيم العليا، ومبادئ الدين لكن مفكرنا العربي يتساءل: إذا كانت دعوته العقلانية هذه في الفكر العربي لها صلة وثيقة بالوضعية المنطقية فقط، وهي بناء وتشديد جديد له خصائصه ومميزاته في الفكر العربي، أم أنها ما تزال امتداد أو تطبيق لها؟ إذن في نظر هذا الأخير فإن العقل الذي دعا إليه زكي نجيب محمود هو عقل إجرائي أداتي براغماتي بصرف النظر عن

<sup>1</sup> المجلة الجديد، "المؤسسة العربية للدراسات والنشر"، ص28.



مبادئه وغاياته، حيث يقول: " ومن هذه الزاوية يمكن أن يتبين أن هذا المفهوم للعقل خال تماماً من أي دلالة اجتماعية أو تاريخية، فالعقل والعقلانية في تعريف زكي نجيب محمود هو معيار مجرد للحضارة، نجده في أثينا (بركليز) كما نجده في بغداد (المأمون) وفلورنسة (ميدتشي) وفي باريس عصر التنوير".<sup>1</sup>

إذن فالعقل هو المعيار الوحيد في جميع الحضارات مهما اختلفت إنتاجاتها وإبداعاتها وأسسها ومبادئها، وكل حضارة تراهن على الأخذ به في حل معضلاتها ومشكلاتها المتنوعة والمختلفة.

يقول محمد أمين العالم: " ولكن... هل نحن بهذا ندين العملية الإجرائية البراغماتية وترفضها؟ الحق لا فالذي لا يشك أن هذا المنحى الإجرائي البراغماتي هو جزء طبيعي وظيفي في أية عملية عقلانية ولكن هناك فارق بين هذا وبين أن تقصر العملية العقلانية كلها على حدودها الإجرائية النفعية البراغماتية وتعقل في جوانبها ووظائفها، ودلالاتها هو الكاتب الذي غير زكي نجيب محمود عنوانه إلى "موقف الميتافيزيقا" حين أعاد طبعه في دار الشروق، لكن دفاع محمد عمارة لم ينته إلى تبرئة ساحة الرجل تبرئة تامة من المنظور الإسلامي الذي ينتمي إليه المفكر العربي زكي نجيب محمود، وكعادة محمد عمارة في منهجه الوسطي الذي يعني إمساك العصا من المنتصف، وخلص إلى أن صورة الإسلام لدى زكي نجيب محمود قد تعدلت كثيراً لكنه لم يبلغ مرتبته من أن يلتزم بالمنهج الإسلامي التزاماً كاملاً".<sup>2</sup>

وقضية الإلتزام والتقيد بالمنهج الإسلامي هي مربط الفرس في كل محاولات تشويه التراث العربي قديماً وحديثاً، وبدلاً من الدخول في حوار ونقاش حقيقي للأفكار والأطروحات، نقاش يثري الفكر ويعلم من يحتاج للتعلم بإشباعه المعرفة، بدلاً من ذلك يتم تناول كل الأفكار والآراء والإبداعات من منظور ومفهوم خاص وتفسير وتأويل يعينه للإسلام والأخطر من ذلك أن هذا المنظور وذلك التفسير والتأويل يطرح دائماً على أنه "الإسلام" الوحيد الصحيح، وكل ما عداه

<sup>1</sup> إبراهيم بدران وآخرون، " الفلسفة في الوطن العربي المعاصر "، ص194.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص313.

وسواه زيف وإلحاد وشيء من هذا القبيل، بل إن تعددية التراث الفكري الإسلامي، تلك التعددية التي وسمته بالخصوبة والعمق والناجحة عن التفاعل والإحتكاك الحر مع التراثيات الإنسانية السابقة على الإسلام، في الواقع صارت الآن موصوفة بشبه الإنحراف عن المنهج الإسلامي هي الأخرى، فعلى هذا الأساس لم يحقق دفاع "محمد عمارة" عن إسلام زكي نجيب محمود غائبة فالرجل باعترافه هو، لم يصل إلى حدود التقيد والإلتزام بالمنهج الإسلامي، من هنا تصدى من يرد على "محمد عمارة" واصفاً خطابه وكلامه من منظور صاحب الرد يخرج الدين بالكامل من منطقة الوجدان الخاصة بكل شخص على حده بما يميل إليه قلبه وترتاح إليه نفسه دون أن يكون هناك مجال لأن تعتقد بأن هناك من هو على صواب على عقيدته ومن على خطأ وإلا وقعنا في تهمة الطرف.<sup>1</sup>

في الحقيقة لسنا هنا في معرض الدفاع عن عقيدة المفكر العربي زكي نجيب محمود التي يحاول المقال السابق أن يحاكمها، لسبب بسيط جداً، وأن هذه المحاكمة تمثل في الواقع سلوكاً مرفوضاً، لأن العقيدة مصدرها ومنبعها القلب، مع العلم أن زكي نجيب محمود تحدث عن عقيدة بنفسه في حوار نشر بجريدة (الوفد) بتاريخ 09/23 ونقلت جريدة الشعب 09/28. الجزء الخاص بالدين في هذا الحوار، وأعدت نشره محاور للمقالة المذكورة بعنوان "الدين في عالم شيخ الفلاسفة"، أننا هنا في مجال تحليل ظاهرة وإصرار البعض على اعتبار أنفسهم المتحدثين الوحيدين باسم الإسلام، وعلى اعتبار كل من يعارض ويخالف أفكارهم وآرائهم وأطروحاتهم ويعد خارجاً عن الملة الإسلامية، ومشكوكاً في عقيدته، لذلك يقول محمد عمارة: "عندما نتحدث عن الدكتور زكي نجيب محمود فإننا باعتبارنا إسلاميين ننظر إليه من حيث مواقفه الفكرية من الإسلام التي تتحدد على أسسها أهمية فكره وخطره".<sup>2</sup>

إن الكتاب والمفكرين في محاكمتهم لعقيدة المفكر العربي زكي نجيب محمود الدينية من منطلق وحجة عدم التقيد والإلتزام بالمنهج الإسلامي، لا يتورعون عن التفتيش والتنقيب في نوايا

<sup>1</sup> نصر حامد أبو زيد، "الخطاب والتأويل"، المركز الثقافي العربي، ط1، سنة 2000م، ص83.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص84.

وخلفيات الرجل حين بدأ قراءة ودراسة التراث الإسلامي متراجعاً في مراحلهِ الأخيرة عن موقفه الفكري الأول الذي كان يرى ضرورة الأخذ والإقتداء بالنموذج الغربي، إلا أن كاتب مقالتنا المذكورة ينكر على زكي نجيب محمود محاولة الإقتراب من الإسلام وتفهم تراثه، ويرى أنه تعامل مع التراث " باعتباره تراثاً عقلياً يرفض منه ويقبل على نفس الأسس والمعايير الغربية التي ينتمي إليها معتمداً في ذلك على المنهج البراغماتي في التفكير الذي يقترب كثيراً من وضعيته المنطقية، والذي يعامل التراث الإسلامي كتراث عقلي مجرداً من أسسه العقائدية " <sup>1</sup>.

في الواقع فإن تراجع المفكر العربي زكي نجيب محمود عن موقفه المتمثل في ضرورة إحتذاء النموذج الغربي، فلا شك أن فهمه للوضعية المنطقية قد أصابه بعض التعديل، لكن ذلك يتطلب ويستلزم إعادة قراءة لإنتاج وأعمال مفكرنا العربي من هذه الزاوية، قراءة لا تسعى إلى الإدانة بقدر ما تسعى إلى الفهم والحوار، وأول شروط الحوار: التخلي عن تصور امتلاك الحقيقة هذا باختصار شديد عن بعض مواقف مفكرنا العربي.

في الأخير إننا نلاحظ أن الجماعة المفكرين الذين وقفوا ضده، لم يكونوا في حقيقة الأمر ضد زكي نجيب محمود كشخص مفكر وأديب وشاعر وصحفي، لكن كان موقفهما من مدرسة الوضعية المنطقية كاتجاه فلسفي له مقدماته ونتائجه ومنهجه الخاص به، وكلنا نعلم أن للوضعية المنطقية مواقف حساسة جداً من قضايا شائكة كالمنطق واللغة والميتافيزيقا والأخلاق، وعلم الجمال وغير ذلك، وهي مباحث فلسفية أصيلة ارتبطت بتراثنا وبالتطور الفلسفي في واقعنا المعاصر.

وما كان لزكي نجيب محمود أن يرضي الجميع ولذلك يكفيه فخراً أنه حاول التصدي لقضايا التخلف والفقر والجهل التي كانت معشعشة في كيان أمته ووطنه، وزكي نجيب محمود هنا نشهد له بالصدق في التعامل مع هاته المشكلات ولعل رحلته من (خرافة الميتافيزيقا) إلى (تجديد الفكر العربي) تعكس بصدق لا نظير له، صدق الرجل مع ذاته أولاً، ومع الآخرين ثانياً، فهو حين اقتنع

<sup>1</sup> نصر حامد أبو زيد، " الخطاب والتأويل "، ص 85.

بمحدودية النزعة العلمية للوضع المنطقية في التعامل مع قضايا التراث العربي الإسلامي الشائكة، راجع نفسه ولم يتخل عن قناعاته من قضايا التخلف أمله اللحاق بركب الأمم المتقدمة.

إن زكي نجيب محمود يعد نموذجاً حياً لما يمكن أن يعانيه مفكر عربي أدرك بعد الهوة بين عالمه والعالم الآخر، ولم تكن رحلته إلى لندن (بريطانيا) مجرد سحابة عابرة، بل كانت محطة رئيسية تفرعت عنها محطات جزئية أوصلته إلى محطة التراث العربي الإسلامي الذي وجبت معاصرته، وهو بذلك يدخل في خانة المجددين الذين هم مشكورون لأنهم اجتهدوا وكانوا صادقين في اجتهادهم.

على الرغم من التحولات التي حدثت فب فكر زكي نجيب محمود والتي تبدو وكأنها متناقضة عندما كانت فكرته تتغير من وقت لآخر، فربما يعود هذا إلى تأثره بالواقع الذي كان يعيشه وهذا ليس بالجانب السلبي عنده وإنما ذكاء منه أن يتماشى والواقع المعاش، كما أن زكي نجيب محمود "...مخلصاً لوطنه ودينه وعقيدته، بغير جمود أوتحجر أراد أن يسود الإجتهد حياة الفكر، وأن يتواصل البناء قديماً وحديثاً حفاظاً على الهوية وفي ذات الوقت مشاركة فاعلة في صنع التجديد الذي لا تستقيم الحياة إلا به".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> سعيد مراد، " زكي نجيب محمود آراء وأفكار "، دون بلد، سنة 1997م، ص201.



خاتمة:

من خلال المراحل التي قطعناها مع مفكرنا زكي نجيب محمود نشعر بالفعل أننا أمام مشروع فكري طلائعي عليه آليات الخطاب الفلسفي، أنه خطاب يعكس معاناة صاحبه اتجاه هموم الفكر والوطن وهموم الأمة العربية الإسلامية برمتها، وقد ولد التفكير اتجاه تلك الهموم سبيلاً من المقالات والكتب أثارت الكثير من القضايا الجوهرية (التنمية والسياسة والديمقراطية) والأصالة والمعاصرة، والعولمة والغرب.

إن تلك المقالات والكتب ولدت ردود أفعال كثيرة، مما زاد من نشاط حركة النقد على الساحة الفكرية العربية المعاصرة، وحفز المشتغلين في الحقل الفلسفي للإجتهد أكثر، وتقديم أطروحات نظرية تكون أكثر انسجاماً مع واقعنا الثقافي والاجتماعي والسياسي.

إن أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا بشأن موقف زكي نجيب محمود من خلال: إشكالية التراث والتجديد هي كالآتي:

1. جاء عمل زكي نجيب محمود من خلال مشروعه النهضوي التجديدي وهو يتأمل ما يواجه مجتمعنا اليوم من فكر حضارة اتجاه قضية التخلف والركود والإنحطاط التي تزداد عمقاً يوماً بعد يوم، في ظل عالم إنساني يزداد في المقابل تطور وتقدماً، وهذه القضايا دفعت الفيلسوف العربي للإبداع والإنتاج وهذا يظهر من خلال إنتاجاته الغزيرة، وأخذ على عاتقه الدور التنويري في العالم العربي من خلال تحقيق فكر عربي جديد وثقافة عربية جديدة، تقوم بتغيير مظاهر الحياة العربية وتجديد نظرتهم لذاتهم ولعصرهم، لذلك وجد في الفلسفة الوضعية المنطقية السبيل والتي ترتبط بالعلم القائم الخبرة الحسية رافقته الفلسفة التأملية والميتافيزيقا، وتقوم بتوضيح المعاني اللفظية بالرجوع إلى عالم الواقع.
2. إن تعدد التيارات الفكرية في الفكر العربي هي حقيقة قائمة بذاتها في المجتمعات العربية حيث يهدف كل تيار إلى إيجاد الحلول من أجل تنظيم المجتمع، وتسليط الضوء على

إيجاد الطريق إلا أن تعدد التيارات الفكرية أدت إلى تضارب الآراء والأفكار منها دعاة الإتجاه الإصلاحى، ودعاة الإتجاه التجريبي.

3. وأيضاً ظهور ركن آخر في فكره "زكي نجيب محمود" من خلال إقامته بإنجلترا باطلاعه على الفكر الغربى، وهذا ما أدى إلى ظهور نوع من التناقض في فكره، وأمام التآزم الذى كان يعيشه العالم العربى في مختلف جوانب الحياة وخاصة الجانب الفكرى حيث رأى بضرورة اتباع الفكر الغربى ذات ميزة عقلانية وتجريبية واستزادة حضارته وتطبيقها على المجتمعات العربية من أجل تحقيق التطور والتقدم وإخراجه من الأزمة الفكرية.

4. هذا ما نلاحظه من خلال دراسة إنتاجاته ومعرفة جوانب تطوره الفلسفى وقبل الذهاب والدفاع عن الوضعية المنطقية، إن هناك الكثير من المفكرين يصبون إهتماماتهم إلى كيفية التفكير في مراحل الروحية الأولى في شبابه ويظهر هذا في مؤلفاته " الجبر الذاتى".

5. إن زكى نجيب محمود كانت له نظرة أو وجه ميتافيزيقي وصوفى في أولى مراحل الفكرية وكثيراً ما همش هذا الجانب، فمن الإنصاف أن لا نتغاضى على أي فكرة أو وجهة نظر قدمها للفكر العربى باعتبار أننا لم نخصص جانب واحد أو مرحلة واحدة من المراحل التي مرّ بها، وهذا يظهر من خلال شرحه لقصيدة "لعينة ابن سينا" التي تعتبر من أولى أعماله الفكرية وتبدو هذه القصة أنها شبيهة إلى حد بعيد بفلسفة "أفلاطون" عندما تكلم عن النفس ورأى بأنها كانت في عالم المثل سعيدة ثم حلت بالجسم وسكنت فيه، وعادت بعد وفاة الإنسان من حيث أتت.

6. كان المفكر "زكى نجيب محمود" يعتمد على العقل في كثير من المواضيع أثناء تحليله لمشكلات الأمة العربية مستخدماً في ذلك الوضعية المنطقية والتي اعتبرها المسلك الأمثل والأهم الذي يخرج الوطن العربى من خلال الإستناد إلى العلم وقوانينه الذي

يعتبر سمة العصر إلا أنه تعرض إلى العديد من المفكرين من خلال انتاجاته الفكرية ونظرته إلى المجتمع وهو كغيره من المفكرين له معارضين ومؤيدين. وبناءً على ما سبق يتضح لنا جلياً منبع الأزمة الفكرية والفلسفية والعلمية التي نعيشها اليوم جزاء قراءتنا لأفكار زكي نجيب محمود أنها ليست في نقص المفكرين، كما أنها ليست في عقم البلاد ودراساتهم ولكن في كيفية توظيف المفكرين، هذه البحوث المقدمة مع الواقع المعاش سواءً كان هذا الفكر إنتاجاً محلياً أو غريباً، لأن الفكر الفلسفي لا يجب النظر إليه كأنه نشاط تجاري أو سلع صناعية أو مكسب اقتصادي يمكن زرعه في تربية أي مجتمع بل لابد من عملية نقدية دقيقة لوظيفة نقوم بها في محاولة تكييف واقعنا مع مستجدات العصر وتنقصنا في ذلك فقط الأفكار الناجحة والمنطق السليم.

وفي الختام، إن ما بذلناه من جهد تجاه فكر زكي نجيب محمود حول التراث والتجديد وكذلك النقد الموضوعي الذي قدمناه اتجاه الحركات النهضوية الإصلاحية ومن بينهم زكي نجيب محمود.

كما أننا لا ندعي أننا أحطنا بجميع جوانب الموضوع، لكننا نتصور فقط بأنها محاولة جادة لغوص في ثنايا أفكار زكي نجيب محمود ودراسة حتى لو من جانب صغير من إنتاجاته الفكرية الغزيرة ولسد بعض الثغرات التي لم يتعرض إليها غيرنا من الباحثين لفكره، ذلك أن الموضوع الذي تناوله بالدراسة شائك ومعقد، فصعوبته تتجلى في اختلاف آراء المفكرين في تقديم علاج موضوعي وفعال لإصلاح الأزمة الفكرية التي يعانيتها واقع المجتمع العربي الإسلامي ومن هنا نستطيع أن نقول أن "زكي نجيب محمود" بكل استحقاق وجدارة بأنه من أعظم وأبرز المفكرين العرب من خلال تطلعنا على مواضيع مختلفة ومتباينة في تطوره الفكري وخاصة على الصعيد الفلسفي، إذ كانت له جوانب متعددة، الجانب الميتافيزيقي وبعد ذلك أصبح له الجانب الوضعي المنطقي الغربي (العقلي).



وأمام كل هذه التطلعات الواسعة استطاع أن يتغلغل داخل التراث العربي وجعل لنفسه مكانة وسطى بين الفكر الغربي والفكر العربي، فأصبح بذلك من أهم دعاة التنوير والتقدم في العالم العربي الإسلامي، وفي تطوير الفكر الفلسفي العربي المعاصر.

## قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم:

### قائمة المصادر:

- (1) زكي نجيب محمود، "الشرق الفنان"، دار القلم، القاهرة، بدون سنة.
- (2) زكي نجيب، "المنطق الوضعي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1 1966م.
- (3) زكي نجيب محمود، "تجديد الفكر العربي"، دار الشروق، بيروت، ط1 1985م.
- (4) زكي نجيب محمود، "ثقافتنا في مواجهة العصر"، دار الشروق، القاهرة ط3 1983م.
- (5) زكي نجيب محمود، "حصار السنين"، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1991م.
- (6) زكي نجيب محمود، "حياة الفكر في العالم الجديد"، مطابع الشروق، بيروت ط1، 1956م.
- (7) زكي نجيب محمود، "عربي بين ثقافتين"، دار الشروق، القاهرة، ط1 1990م.
- (8) زكي نجيب محمود، "في حياتنا العقلية"، دار الشروق، بدون بلد، ط1 1998م.

- (9) زكي نجيب محمود، "قشور ولباب"، دار الشروق، القاهرة، بدون ط، 1981م.
- (10) زكي نجيب محمود، "قصة عقل"، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1988م.
- (11) زكي نجيب محمود، "قيم من التراث"، دار الشروق، القاهرة، بدون ط 2000م.
- (12) زكي نجيب محمود، "مجتمع جديد أو كارثة"، دار الشروق، بيروت، ط3 1983م.
- (13) زكي نجيب محمود، "من خزانة أوراق"، دار الهداية للطباعة والنشر، بدون بلد، ط1، 1996م.
- (14) زكي نجيب محمود، "موقف من الميتافيزيقا"، دار الشروق، بدون بلد، ط4 1993م.
- (15) زكي نجيب محمود، "نافذة على فلسفة العصر"، مقالات عن الفلاسفة نشرت بمجلة العربي، كتاب العربي، بدون بلد، 1996م.
- (16) زكي نجيب محمود، "هذا العصر وثقافته"، دار الشروق، القاهرة، ط1 1980م.
- (17) زكي نجيب محمود، "هموم المثقفين"، دار الشروق، ط1، القاهرة، ط1 1981م.
- (18) زكي نجيب محمود، "أفكار ومواقف"، دار الشروق، ط1، بيروت، 1983م.
- (19) زكي نجيب محمود، "عن الحرية أتحدث"، دار الشروق، القاهرة، بدون ط 1981م.

20) زكي نجيب محمود، "شروق من الغرب"، دار الشروق، القاهرة، ط2، 1983م.

21) زكي نجيب محمود، "بذور وجذور"، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1990م.

22) زكي نجيب محمود، "المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري"، دار الشروق بيروت، ط2، 1974م.

### قائمة المراجع:

- 1) إبراهيم بدران وآخرون، "الفلسفة في الوطن العربي المعاصر"، بحوث المؤتمر الفلسفي العربي، الأول الذي نظّمته الجامعة الأردنية، ط2، بيروت مركز دراسات الوحدة العربية، نوفمبر، 1987م.
- 2) أحمد عاطف "نقد العقل الوضعي"، دراسة في الأزمة المنهجية لفكر زكي نجيب محمود، دار الطبيعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت، سبتمبر 1980م.
- 3) أسامة علي حسن الموسى، "المفارقات المنهجية في فكر زكي نجيب محمود"، لجنة التأليف والتعريب والنشر، الكويت، ط1، 1997م.
- 4) إمام عبد الفتاح إمام، "رحلة في فكر زكي نجيب محمود"، المجلس الأعلى للثقافة، دون بلد، 2001م.
- 5) بوتسنسكي، "الفلسفة المعاصرة في أوروبا"، ترجمة عزت قرني، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1992م.
- 6) سالم يفوت، "فلسفة العلم المعاصر ومفهومها للواقع"، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1986م.
- 7) سلامة موسى، "البلاغة العصرية واللغة العربية"، مصر، 1948م.

8) السيد ولد أباة، "أعلام الفكر العربي"، الشبكة العربية للبحث والنشر، بيروت ط1، 2010م.

9) عصمة نصار، "الخطاب الفلسفي عند ابن رشد وأثره في كتابات محمد عبده وزكي نجيب محمود"، دار العلم بالفيوم، 2002م.

10) فؤاد زكريا "التفكير العلمي"، سلسلة عالم المعرفة، ط3، الكويت، 1988م.

11) فؤاد كامل، "أعلام الفكر الفلسفي المعاصر"، دار الجبل، بيروت، ط1، 1993م.

12) لطفي بركات، "فلسفة الوضعية المنطقية والتربية"، دار النهضة العربية بيروت، 1967م.

13) ماهر عبد القادر محمد علي، "خرافة الوضعية المنطقية"، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1994م.

14) محمد إلهي، "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي"، دار الفكر ط6، بيروت، سنة 1973م.

15) محمد عابد الجابري، "الخطاب العربي المعاصر"، كلية دار الطليعة، ط2، بيروت، سنة 1985م.

16) محمد عابد الجابري، "بنية العقل العربي"، سلسلة نقد العقل العربي، ط2، بيروت، سنة 1987م.

17) محمد علي أبو ريان، "الفلسفة ومباحثها"، دار الجامعات المصرية، ط3، 1974م.

- 18) محمد علي الكيسي، "التراث وإشكالية القراءة، الفكر العربي المعاصر" (مجلة فكرية) تصدر شهرياً عن مركز الإنماء القومي، بيروت، العدد 29، 1984م.
- 19) ناصر نصار، "طريق الإستقلال الفلسفي سبيل الفكر العربي للحرية والإبداع"، دار الطباعة والنشر، ط2، بيروت، ماي، 1979م
- 20) نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م.
- 21) يحي هويدي، "الفلسفة الوضعية المنطقية في الميزان"، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1971م.

### قائمة المجالات:

- 1) حوار مع زكي نجيب محمود، أجرته زينب المنتصر، مجلة الأقلام العربية كانون الثاني، 1976م.
- 2) محمد نور الدين آفاية، "المعقول والمتخيل في الفكر العربي المعاصر"، مجلة المستقبل العربي، عدد 160، سنة 1992
- 3) عبد الغفور المكاوي، في الذكرى الثالثة لرحيل زكي نجيب محمود، مجلة نزوى، العدد8، عمان للصحافة والنشر والإعلان، جوان 2009م.
- 2) مجلة الجديد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، مجلة متخصصة في عالم الكتب والمكتبات، العدد3، بيروت، صيف 1994م.

### قائمة الموسوعات :

- 1) زكي نجيب محمود، أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء، من إسلام أون لاين.نت

(2) مدونة الدكتور إبراهيم العلاف، أستاذ التاريخ، جامعة الموصل.

### قائمة المعاجم :

- (1) إبراهيم مذكور ، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة للشؤون و المطابع  
الأميرية ، القاهرة ، 1983 .